Tel : 787250, 788166
Fax : 0522-787310

MAJALLAH

RNI No.(U.P. ARA/2000/2341
Regd. No.LW-NP/64/2001

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Issue-7) May-2002 (Monthly)

المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات

بسم الله الرحمن الرحيم

www.nadwi.net

موقع الداعية الإمام

أبي الحسن علي الحسني الندوي

موقع تعريفي بسماحة الداعية الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله بأربع لغات: العربية والأردية والإنجليزية والهندية ، قام بإنشائه للبحث والنشر والتوزيع بالتعاون مع المرتضى للمكتبات لأصحابهما أولاد فضيلة الشيخ محمد مرتضى الحسيني (مدير مكتبة ندوة العلماء الأسبق) رحمه الله.

يحتوي الموقع على نبذة موجزة عن سماحة الإمام الراحل مع القائمة الكاملة لمؤلفات سماحته، والإشارة إلى أهم المراجع والبحوث والمقالات التي تتناول حياة سماحته وخدماته في المجالات الدعوية والأدبية ، وذلك في أربع لغات: العربية والأردية والإنجليزية والهندية.

هذا وكان لـ للبحث والنشر والتوزيع شرف إعداد القوائم الكاملة لمؤلفات سماحته باللغتين العربية والأردية وتراجمها إلى اللغات : الإنجليزية والهندية وغيرهما من اللغات المحلية والعالمية عام١٩٩٦م بمناسبة انعقاد الندوة العالمية عن سماحته في استانبول على هامش المؤتمر الرابع الهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

كما كان لـ المرتضى للمكتبات شرف إنشاء جناح خاص بمؤلفات سماحته وما كتب عنه، في مكتبة ندوة العلماء العامة عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م) والذي شرُف افتتاحه سماحة الإمام الراحل في ٥/ من شوال ١٤١٨هـ. والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

Heraa@nadwi.net البريد الإلكتروني :

HERAA

المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات المرتضى للمكتبات

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) NadwatulUlama at Parekh Offset Printing Press, Tagore Marg, Lucknow. U.P.
Editor : Saeed-Al-Azami-Al-Nadwi

المجلد ٤٧

المجلد السابع والأربعون

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العدد الثامن | مجلة اسلامية شهرية جامعة | جمادى الأولى ١٤٢٣هـ

في هذا العدد

دور البعثة المحمدية في توجيه العلم
نظرة على ماهية الباري تعالى في ضوء الكتاب والسنة
بروتوكولات حكماء صهيون ٢-٢
بناء العالم : لا يستقيم بدون الإسلام
أمريكا بين موالاة اليهود ومعاداة العرب فقاط سوداء يجب أن تعرف
اتقوا : فتنة هذا العصر
المضمون الإعلامي في الدعوة الإسلامية
الوكالة بالخصومات "المحاماة" بين المانعين والمجيزين في ...
الكفاءة ... كما يراها فقهاء الأمة
أصول المعاش الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة
وسائل الإعلام الحديثة : وإمكانية الاستفادة منها في الدعوة إلى الله
اللجان لا تنقذ المضطهدين

تصدرها:
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء ص.ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

٨٨٢١
١٤١٩٥٥
جزائر

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السابع والأربعون

العدد الثامن
جمادى الأولى ١٤٢٣هـ
يونيو-يوليو ٢٠٠٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)
(رحمه الله)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)
تلفون : ٠٥٢٢-٧٨٧٢٥٠.

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph: 0522-787250

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة والفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، ويسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند :
مائتا روبية ٢٠٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/روبية

في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٥/دولاراً بالبريد العادي
و
٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

وذلك بالعنوان التالي
مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

محتويات العدد

سماحة العلامة الندوي رحمه الله يتحدث عن :

دور البعثة المحمدية في توجيه العلم ٣

الافتتاحية :

بناء العالم ؛ لا يستقيم بدون الإسلام — سعيد الأعظمي الندوي ٤

التوجيه الإسلامي :

نظرة على ماهية البارئ تعالى في ضوء ... — الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي ٩

بروتوكولات حكماء صهيون — د/محمد بن سعد الشويعر ٢٢

أمريكا بين موالاة اليهود ومعاداة العرب ؛ نقاط سوداء يجب أن تعرف !! — د/غريب جمعة ٣٢

الدعوة الإسلامية :

اتقوا : فتنة هذا العصر — د/أشرف شعبان أبو أحمد ٤١

المضمون الإعلامي في الدعوة الإسلامية — د/أحمد عبده عوض ٤٧

الفقه الإسلامي :

الوكالة بالخصومة "المحاماة" بين المانعين والمجيزين في ... — د/عارف علي عارف ٥٥

الكفاءة ... كما يراها فقهاء الأمة — الأستاذ عتيق أحمد القاسمي ٦١

أصول المعاش الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة — الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي ٧٠

دراسات و ابحاث :

وسائل الإعلام الحديثة ؛ وإمكانية الاستفادة منها في ... — الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي ٧٧

التعريب بين النظرية والتطبيق — د/محمد السيد علي بلاسي ٨٤

صور و اوضاع :

اللجان لا تنقذ المضطهدين — واضح رشيد الحسني الندوي ٩٥

إلى رحمة الله تعالى :

الأستاذ عبد اللطيف الأعظمي الندوي في ذمة الله تعالى — قلم التحرير (س.أ.) ٩٩

حرم فضيلة الشيخ محمد مرتضى النقوي في ذمة الله تعالى — " " " " " ١٠٠

****

سماحة العلامة الندوي رحمه الله يتحدث عن :

دور البعثة المحمدية في توجيه العلم

كان دور البعثة المحمدية ؛ والدعوة الإسلامية في توجيه العلم إلى الهدف الصحيح ؛ وحمله على أداء دوره الإيجابي البناء النافع المجدي المنقذ من الحيرة والاضطراب ، والتناقض والارتياب ، أكبر أهمية وأكثر قيمة من دورها في تنشيط حركة العلم وتوسيعها .

و ذلك أن وحدات العلم كانت مبعثرة بل كانت في أغلب الأحيان متناقضة ، فعلم الطبيعة يخالف الدين ، وعلم الحكمة يحارب الدين ، حتى علوم الرياضة والطب البريئة كان يخرج منها أصحاب الاختصاص فيها أحيانا بنتائج سلبية إلحادية ، فكان في اليونان التي فاقت العالم المعاصر لمدة قرون في علوم الفلسفة والرياضة ، علماء إما مشركون وإما ملحدون ، وأصبحت علومها ومدارسها الفكرية خطرا على الدين ، وحجة وقدوة للملحدين ، فكان أكبر حسنات الإسلام أنه دل على الوحدة التي تربط بين وحدات العلم ، وقد تيسر له ذلك لأنه بدأ رحلته في مجال العلم والمعرفة بداية صحيحة ، بدأها بالإيمان بالله ، والاستعانة به ؛ والاعتماد عليه عملا بقوله تعالى لرسوله : ﴿ إقرا * باسم ربك * الذي خلق ﴾ ؛ وصحة البداية – في غالب الأحيان – كافلة بصحة النهاية ، فاستطاع بفضل القرآن والإيمان أن يكتشف الوحدة التي تربط الوحدات بعضها ببعض ، وهي معرفة الله تبارك وتعالى ، وذلك الذي مدح الله به عباده المؤمنين ، فقال : ﴿ ويتفكرون في خلق السماوات والأرض * ربنا ما خلقت هذا باطلا * سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [آل عمران/١٩١] .

الافتتاحية :

بناء العالم
أو استقيم بدون الإسلام

المعسكرات

المادية العالمية تقف اليوم من الأمة المسلمة موقف السادة من العبيد ؛ وتسوقها كالقطعان من الغنم بعصا واحدة ؛ نحو افتراضاتها وقراراتها التي تساعد في تجريد هذه الأمة من تميزاتها ؛ وتعريتها من الشخصية الإسلامية ، الأمة التي بعثها الله سبحانه لإقرار الأمن ؛ والعدل والسلام ، والصدق والحق ، في الفرد والمجتمع ، والقضاء على جميع ما يعارض الفطرة الإنسانية من الأهواء والشهوات ؛ والأغراض التافهة ، وما يحول دون أداء وظيفة الأمر بالمعروف ؛ والنهي عن المنكر ، وهي أشرف وظيفة أكرمها الله سبحانه وتعالى بها ، وسماها خير أمة ؛ أخرجت للناس ؛ لكي تقود العالم البشري إلى صراط مستقيم ، وتذكّره بالمكانة التي يتبوأها من خلال فطرة الله العزيز العليم .

و هي مكانة القيادة والوصاية على العالم ، مكانة التوجيه ؛ والدعوة إلى رسالة الإسلام التي بشر بها رسول الله ﷺ النوع البشري كله ، فقال : ﴿ يا أيها الناس ! إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ ؛ و أنزل معه الكتاب بطريق الوحي ؛ ذلك الكتاب : ﴿ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه * ولا من خلفه * تنزيل من حكيم حميد ﴾ ، وقد شاءت حكمة الله تعالى أن يكون هناك دستور دائم ؛ ورسالة خالدة ؛ ودين كامل ؛ ينور للإنسان طريقه ؛ نحو السعادة الدائمة ، بعد ما عاش في شقاء وتعاسة من خلال الأنظمة الجائرة ؛ والأفكار الزائفة ، وفي متاهات الظلم ؛ والجور والعسف ، وتحت نير العبودية ؛ والرق إلى مدة طويلة .

يزخر التاريخ بحكايات عجيبة ومثيرة لأشخاص كتبت لهم الاهتداء إلى دين الإسلام بعد العيش في مرارة الجاهلية الحديثة ، وتجربة الفلسفات ؛ والأنظمة المادية ، فكأنهم كانوا في جحيم ؛ وانتقلوا منها بمجرد توفيق الله تعالى إلى جنة ونعيم ، وقد شهدوا بكل اقتناع واختبار بأن الإسلام ؛ هو ذلك الدين القيم الذي يرعى الإنسان ، و يرفع منزلته ، ويمنحه لذة الحياة ، ومتعة العيش في حرية ؛ وأمن وسلام ، ويوجه إلى كل فرد من أفراد الأسرة الإسلامية العظيمة تعاليم خلقية ، ومثلاً رفيعة عالية لحياة سعيدة ؛ تزدان بالعلم والحلم ؛ والصبر والشكر ؛ والحب والرحمة ؛ والهدوء والطمأنينة ، فهو ملجأ ومنجى للناس جميعاً يأوون إليه لدى كل ضائقة أو محنة يواجهونها في أي فترة من التاريخ .

كثير ممن كانوا يرون إلى دين الإسلام من خلال المناظير السوداء ؛ ويتهمونه بالظلم والجور والقسوة ، ولكنهم لما جربوا الإسلام ؛ ودرسوه بعمق و تفصيل ، و فازوا بجماعة من المسلمين كانت تمثل الإسلام قولاً وعملاً ؛ وإيماناً واعتقاداً ، سرعان ما رجعوا عن اتهاماتهم الباطلة ؛ وسوء ظنونهم بشريعته الخالدة ؛ واعتنقوا الإسلام ، وعاشوا في ظلال المنهج الإسلامي للحياة ، مطمئنين ؛ مغتبطين بنعمة الحياة ؛ ولذة الاتصال بالله سبحانه بطريق مباشر : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله * ثم لم يرتابوا * و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله * أولئك هم الصّادقون ﴾ [الحجرات/١٥] .

ركز المنهج الإسلامي للحياة على بناء وحدة إيمانية ؛ وأخوة إنسانية تجمع الناس كلهم على وحدة الكلمة والهدف ؛ وتبنى المجتمع الإسلامي النبيل ؛ وتصله برباط الإيمان الصادق ؛ والعلاقة الخالصة بين الإنسان والإنسان ؛ وبينه وبين الله تعالى ، فحطّم جميع المقاييس من اللون والجنس ؛ والدم ؛ واللغة ؛ والتراب والطين ، وقرر للشرف وللفضيلة مقياساً واحداً ؛ لا ثاني له ، و هو تقوى الله تعالى ، فقال تعالى ؛ وهو يخاطب الجنس البشري العام : ﴿ يا أيها الناس ! إنا خلقناكم من ذكر

وأنثى * وجعلناكم شعوبا وقبائل * لتعارفوا * إن أكرمكم عند الله أتقاكم * إن الله عليم خبير ﴾ [الحجرات/١٣] .

إن هذا الأساس ينبع من أصل طبيعة الإنسان ؛ الذي خلق من أب واحد ؛ وأم واحدة ، وذلك هو الأساس الطبيعي ؛ الذي لا يميز بين بني الإنسان ؛ بل يميزه من خلال الطاعة ؛ وعبادة الله تعالى ، فكلما كان المرء أقرب إلى ربه على أساس الطاعة والإيمان كان أحب إليه ؛ وأصلح في بناء المجتمع الأفضل ؛ وتسخيره لصالح الإنسان ؛ ومصالح الروح والمادة في تركيبة الحضارة الإنسانية في كل زمان ومكان ، وكل عصر وجيل .

من هنا كان بناء الحضارة الإسلامية ضرورة قصوى للإبقاء على التشخص الإسلامي ، وصبغ الحياة بصبغة إيمانية كاملة تذوب أمامها جميع الألوان والأساليب التي تتغير وتخضع أمام النواميس الوضعية ، ولا تراعى في هدم القيم الخلقية إلا ولا ذمة ، وتستغل جميع الفرص لتجريد الأمة عن تميزاتها ، وبالتالي إزاحتها عن منصب القيادة العالمية التي هي منحة الإسلام للأمة الوسط التي تلتزم جادة الحق والعدل ، وتؤدي أمانة الشهادة على الناس بكل دقة وبراعة .

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا * لتكونوا شهداء على الناس * ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ [البقرة/١٤٣] .

وقد تصدى اليوم جماعة كبيرة من أعداء الإسلام ؛ دولا وشعوبا ؛ وحكاما وقادة لمحو وجود المسلمين كأمة وسط ، وعلى رأسها اليهودية العالمية التي تحمل الحقد والغيظ على الأمة المسلمة ، وتعد كل الوسائل والإمكانيات لإزاحتها عن مركز القيادة والشهادة ، وإلقائها وراء الصفوف الخلفية دون أن يكون لها شأن أو أهمية ؛ بل تعيش عالة على الأعداء ، وتستجدى منهم لقمة العيش ، وتطلب منهم العفو والرحمة ، وقد تكون شرذمة ممن ينتمون إلى الأمة المسلمة ، فتتخذهم بطانة لا يألونها خبالا .

وقد تمثلت هذه الصورة في الأحداث المأسوية التي مرت بها هذه

الأمة بالأمس القريب في بعض البلدان ؛ والدول الإسلامية ؛ حيث وجدت مجموعة من أولياء اليهود من المسلمين ، وباعة الضمائر بثمن بخس دراهم معدودة ، الذين نافقوا وساعدوا الأعداء بكل ما أمكنهم من إعنات المسلمين ؛ وإيذائهم بأيدي عدوهم ، وانتهزوا كل فرصة للاستهانة بهم بالمكر والخديعة ودس السموم في العسل ، كما هو شأن المنافقين في كل عصر وجيل .

وقد حذر الله سبحانه عباده المؤمنين مما إذا انخدعوا بأعدائهم ، واعتمدوا بأقوالهم المعسولة ، وظنوا فيهم النصح والخير ؛ فبين الله تعالى هذه الطبيعة المستورة في هؤلآء الخادعين المكرة ، المضمرين العداء ؛ والظاهرين بالحب والولاء ، يقول الله تعالى ؛ وهو يتحدث عن هذا السلوك السيئ الذي تنطوي عليه نفوسهم :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ! لا تتخذوا بطانة من دونكم * لا يألونكم خبالا * ودوا ما عنتم * قد بدت البغضاء من أفواههم * وما تخفي صدورهم أكبر * قد بينا لكم الآيات * إن كنتم تعقلون * ها أنتم أولاء تحبونهم * ولا يحبونكم ﴾ .

إن أعداء الإسلام من اليهود والنصارى قد وجدوا في كل فترة من التاريخ ، وفي التاريخ الحديث شواهد كثيرة للعمليات التي يتفرغ لها هؤلآء المناوؤن لضرب المسلمين ، وتجريدهم عن العقيدة والإيمان ، وتحويل وجهتهم من بناء مستقبل مشرق لهم كأمة وسط ، إلى الحضارات المادية التي أفرزتها العقول الكافرة ، واليهودية العالمية ، التي هي مكبة على اختراع الوسائل التي تعينها في تحقيق أهدافها الخبيثة في الأمة المسلمة ، والاستيلاء على جميع منابع الخير ؛ والثروات المعدنية المادية التي وفرها الله سبحانه وتعالى في دول وبلدان المسلمين ، وذلك هو دأبها منذ فجر التاريخ .

باتت دول العالم المادية ؛ والمعسكرات القوية تبذل جميع الإمكانيات للتحكم في الأراضي الغنية بذخائر الثروات المعدنية ، وإحكام قبضتها على

الاقتصاد والتجارة ، في بلدان وأقطار المسلمين ؛ وإخضاع القوى العملية كلها في احتكار وسائل المعيشة على المستوى العالمي ، فتارة باسم : "النظام العالمي الجديد" ؛ وأخرى تحت مصطلح "العولمة" الذي لا يعني إلا السيطرة الكاملة على القدرات الإنتاجية في الأسواق العالمية ، وإخضاعها أمام قرار اقتصادي موحد يتخذه قادة الغرب حسب أهوائهم ، و يفرضونه على العالم كله ، ولا سيما العالم الإسلامي الذي يزخر بمواد غنية من كل نوع وبالبترول الذي هو حاجة الغرب أكثر من حاجة الشرق .

ولكي يتحقق هذا المطلب الكبير أوجدوا مبررات للتدخل في الشئون الداخلية لدول العالم الإسلامي ؛ فجاءت أحداث سبتمبر ٢٠٠١م على غفلة من العالم ، واتهم بها المسلمون العرب وغيرهم ، وقيل : إن ذلك إرهاب لا مثيل له في التاريخ ، وأعلنت الولايات المتحدة بشن الحرب ضد الإرهاب من غير هوادة ، واستمرت قذائفها النارية على أفغانستان لتصفية الإرهابيين ، وإلقاء القبض على المسئولين عن الإرهاب ، مما جعل هذا البلد المسلم أكواما من الألغام ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين ؛ لا يعلمه إلا الله ، ولا يزال البلد تحت تهديدات من القذائف والقنابل والصواريخ .

وقد أصبح الإرهاب مصطلحا عالميا ينطبق على كل مسلم ملتزم ، متمسك بشريعة الإسلام وشعائره ، والحرب ضد الإرهاب يقع فريستها الأبرياء ، ويأتي تحت وطأتها المراكز الإسلامية ؛ والمدارس ؛ والجامعات التي تهتم بنشر العقيدة ؛ والتربية الإسلامية ، والتي لها تاريخ حافل بتعميم الفضائل ، ومحاربة الرذائل ، وصناعة الإنسان الواعي المتزن ، الذي يحمل راية الأمن والسلام ، ويركز مجهوداته في تطهير هذا العالم من جميع النزعات الفاسدة ، ومن كل ما يتحدى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها * لا تبديل لخلق الله * ذلك الدين القيم * ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي
١٤٢٣/٣/١١هـ

التوجيه الإسلامي :

نظرة على ماهية البارئ تعالى

[٦] في ضوء النظريات القديمة والحديثة

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي *
الأمين العام السابق للأكاديمية الفرقانية ، بنظور – الهند * (تعريب : الأخ محمد وثيق الندوي)

كلاميات عضد الدين :

إن العلامة عضد الدين عبد الرحمن الأيجي [م/٧٥٦هـ] يعد في طليعة المتكلمين الكبار الذين لهم شهرة عظيمة في علم الكلام ، وكتابه : "المواقف في علم الكلام" يحتل مكانة مرموقة في موضوعه ، و لكنه يحتوي على مسائل مغلقة عويصة ، وأبحاث معقدة ، وجرت عادة عضد الدين على أنه ينقل آراء الفلاسفة و المتكلمين وأقوالهم بكثرة ، ثم يناقشها ويستعرضها ، ولكن يوجد في هذه البحوث تعارض وتناقض ، في أغلب الأحيان ، فمن أجل ذلك لا يتضح أمر من الأمور جليا ، وربما لا يصل الدارس إلى النظرية الحقيقية ، وعلى كل ، فالدلائل التي قدمها بشأن وجود البارئ تعالى من كلام المتكلمين ؛ هي كما يأتي :

١- الاستدلال بحدوث الجواهر : وهو أن العالم حادث ، وكل حادث ؛ فله محدث ، (وهو البارئ تعالى) .

٢- بإمكانها : وهو أن العالم ممكن (٦٢) لأنه مركب وكثير ، وكل ممكن ؛ فله علة مؤثرة (وهو البارئ تعالى) .

٣- بحدوث الأعراض : مثل ما نشاهد من انقلاب النطفة علقة ، ثم مضغة ، ثم لحما ودما ، إذ لا بد من مؤثر صانع حكيم (هو البارئ تعالى).

(*) انتقل إلى رحمة الله تعالى في يوم الخميس في ٤/من شهر صفر ١٤٢٣هـ – الموافق ١٨/أبريل ٢٠٠٢م .

٤- بإمكان الأعراض : و هو أن الأجسام متماثلة ، فاختصاص كل بما له من الصفات جائز ، فلا بد في التخصيص من مخصص له (٦٣) .

ثم يكتب قائلا : "ثم بعد هذه الوجوه ؛ نقول : مدبر العالم إن كان واجب الوجود ؛ فهو المطلوب ، وإلا كان ممكناً ؛ فله مؤثر ، ويعود الكلام فيه ، و يلزم إما الدور أو التسلسل ، وإما لانتهاء إلى مؤثر واجب الوجود لذاته ، والأول : بقسميه باطل ، فتعين الثاني : وهو المطلوب ، (٦٤) .

لا يقبل العقل المعاصر مثل هذه الأدلة الفلسفية القديمة المزيفة (اللاتجريبية) ، ولا تسيغه ولا يستجيب لها ، ونفسية الفلسفة الجديدة أنها لا تتكلم إلا على أساس الاكتشافات العلمية أو الحقائق الثابتة لنظام الكون ، فبهذا لاعتبار لابد لنفسية العصر المعاصر ، وطبيعته من إيجاد علم الكلام الجديد الذي يتكلم على أساس الاكتشافات العلمية ، فمن هذه الناحية يمكن تقديم "أدلة علمية" لإثبات وجود البارئ تعالى تكون مؤثرة ونافعة وفق النفسية المعاصرة ، فالدليل الثالث من الأدلة الأربعة المذكورة أعلاها دليل علمي ، وهو منقول أصلاً عن الإمام أبي الحسن الأشعري (٦٥) .

هذا البحث كان متعلقاً بمسألة وجود البارئ تعالى ، وبعد ذلك هناك بحث آخر يتعلق بذات (ماهية) البارئ تعالى ، وفيه اختلاف كثير ، يبينه ابن حزم ؛ فيما يأتي :

١- المقصد الثاني : في أن ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ، فهو منزه عن المثل والند ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

٢- وقال قدماء المتكلمين : ذاته تعالى مماثلة لسائر الذوات ، وإنما تمتاز عن سائر الذوات بأحوال أربعة : الوجوب ؛ والحياة ؛ والعلم التام ؛ والقدرة التامة .

٣- وعند أبي هاشم يمتاز بحالة خامسة ، هي الموجبة لهذه الأربعة ، نسميها بالإلهية (٦٦) .

ويقول المؤلف رداً على الموقفين الثاني والثالث :

"لنا لو شاركه غيره في الذات ، لخالفه بالتعين ضرورة الاثينية ، وما به الاشتراك غير ما به الامتياز ، فيلزم التركيب ، وهو ينافي الوجوب الذاتي" (٦٧) .

موقف معتدل :

طبقا لهذا البحث الموقف الأول صحيح على الإطلاق ، وهو أن ذات الله سبحانه وتعالى مخالفة لكافة المظاهر ؛ والموجودات الأخرى ، فبهذا الاعتبار لم تكن هناك أي حاجة لإنكار وجوده تعالى البدني ، لأن تصور أي شئ بدون وجوده الجسمي مستحيل من الناحية العقلية أو الفلسفية ، وأما الموقف الثاني والثالث من أن البارئ تعالى كأجسامنا ؛ فهما فاسدان ومهملان ، وأما اختلافات الصفات ؛ فهي لا تنحصر في أربعة أو خمسة ، بل هو متصف بصفات كثيرة تختلف عن صفات الخلق تمام الاختلاف ، ومدهشة مذهلة ، لقد قال بهذا الصدد الإمام أبو حنيفة :

"وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين : يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا ، و يرى لا كرؤيتنا ، و يسمع لا كسمعنا ، و يتكلم لا ككلامنا (٦٨) .

لما صح هذا وثبت ، فما هو الشئ الذي يقدح في تسليم أنه تعالى جسم ؟ وقد بالغ بعض السلف الصالح في إثبات جسمه إلى حد التشبيه ، فبهذا الاعتبار ليس أي قول من هذا النوع بدعة ، ولا نقصا ، ولا عيبا ، وكل ما يمكن أن يقال هو أنه تعالى جسم لا كالأجسام الأخرى ، وليس من الممكن إيراد أي اعتراض على ذلك من الناحية العلمية ، لأن "العلم" ليس له أدنى إلمام بحقيقة "المادة" ، ولا حقيقة الأجسام ، كما لم ينجح في اكتشاف حقائق عالمنا المعلوم عن طريق الاستقراء ، فضلا عن التوصل إلى عجائب ما وراء الكون .

فخلاصة القول أنه لا تنحل هذه المعضلة المعقدة بدون هذا الاعتراف بشأن ماهية البارئ تعالى ، بل لا تزال تتزايد وتتفاقم دهشتنا

وحيرتنا ، فطي سجل المسائل الكلامية القديمة بهذا الشأن باعتبارها دفترا قديما ؛ أولى وأفضل ، وفي الواقع قد أصبح إثبات وجود البارئ تعالى عن طريق حدوث العالم فتنة كبيرة في الدين ، لأنه لم يثبت بسبب هذه النظرية المرفوضة الباطلة وجود خالق الكون ، ولكنها جعلته لغزا وأحجية من الأحاجي لا تنحل ، و ليس له أساس علمي ، والقول بأن الله : "ليس بشئ" غير معقول تماما ، وهذا غير واقعي وغير علمي ، ستناقش مسألة جسمانية الله تعالى في ضوء النصوص القرآنية ؛ والأحاديث النبوية ؛ فيما يأتي من الصفحات .

دليل علمي على وجود البارئ تعالى :

بفضل الاكتشافات العلمية الحديثة قد انكشف القناع عن كثير من الأسرار المكتومة في الكون التي تعتبر بمثابة : "أسرار خالق الكون الإبداعية" ، كما انفتح الباب لإقامة كل نوع من أنواع الأدلة الحديثة على وجود الله سبحانه في ضوء هذه المعطيات الحديثة ، وتبدو الأدلة الفلسفية القديمة أسطورة من الأساطير أمام هذه الأدلة الحديثة ، وبها يسهل التأثير على العقل المعاصر .

وعلى سبيل المثال يمكن إقامة دليل جديد على وجود البارئ تعالى بخصوص حدوث العالم ، عن طريق أن عالمنا المحتوي على مليارات من المجرات عالم واسع مترامي الأطراف والأرجاء ، لا نهاية له ، ظهر إلى حيز الوجود بعد انفجار ، كما تقول نظرية علمية جديدة (Big bang theory) فمن هنالك ينشأ سؤال . من أين جاءت مثل هذه المادة العظيمة ؟ ومن قام بإحداث الانفجار فيها ؟ فيمكننا أن نقول : إن رب العالمين ؛ هو الذي خلق هذه المادة بقدرته العظيمة ﴿ الله خالق كل شئ ﴾ ، وقام بإحداث هذا الانفجار فيها أيضا : ﴿ كانتا رتقا * ففتقناهما ﴾ .

وبهذا الاعتبار لا يثبت وجود رب العالمين فقط ، بل تثبت صفة خلقه وعظمته أيضا ، فخلق هذه المادة الواسعة الأطراف ؛ ومترامية

الأرجاء ؛ والعظيمة للغاية ، التي لا يمكن قياسها أكبر شهادة على أن الله عزوجل خالق الأكوان ، ثم إحداث الانفجار في هذه المادة الواسعة العظيمة أو خلق مليارات من المجرات ، وخلق أجرام سماوية ؛ وكواكب لا تعد ولا تحصى ، بعد فتق هذه المادة أعظم ؛ وأكبر دليل على عظمة الله تعالى .

الحجة العلمية لإثبات صفات البارئ تعالى :

الشهادة السابقة كانت متعلقة بوجود الله تعالى ، فأقدم الآن لإثبات صفات البارئ تعالى حجة علمية ترفض وتدحض أدلة سائر الفلاسفة من المتقدمين والمتأخرين (الكافرون بالله تعالى) وخاصة المعتزلة الذين كانوا ينفون صفات الله تعالى .

كانت مادة عالمنا في أول أمرها بشكل الغاز وفق ما حققته علوم الطبيعة ، و عبر عن ذلك القرآن الحكيم بالدخان : ﴿ ثم استوى إلى السماء * وهي دخان ﴾، ولكن إخراج وخلق أنواع مختلفة "للمادة" فضلا عن خلق أجرام سماوية مشتملة على خصائص مختلفة من هذه المادة الدخانية معجزة عظيمة وبينة على صفة خلقه تبارك وتعالى ، مثلا المادة ، والمادة المضادة ، والبلازما ، والمادة السوداء ؛ والسحابية السوداء وما شاكل ذلك - قد مضى التفصيل فيما سبق - والعلماء عاجزون عن إدراك سبب هذه الاختلافات .

ثم من صنع الله عزوجل إبداعه أنه قد خلق من المادة الدخانية ؛ أو المادة الغازية التي في الحقيقة مجموعة للموجات الكهربائية ، اثنين وتسعين عنصرا من الهائدروجن إلى يورانيم ، وكل من هذه العناصر تتميز بخصائص مختلفة طبيعيا ، وكيف ظهرت هذه العناصر الطبيعية كلها إلى حيز الوجود باستمرار ؟ لم يستطع أحد من العلماء حل هذه العقدة حتى الآن ، ثم كيف دبت الحياة في هذه العناصر الميتة ، و كيف صفة السماع ، و البصر ، و القدرة ، والعلم ، والإرادة ، والكلام ، وما إلى ذلك من الصفات في المظاهر المادية ؟ فإن جميع العلماء الطبيعيين عاجزون عن تبيان ذلك ، لأن

هذه الخصائص معدومة في العناصر المفردة ، وهذا من الأمر المسلم أن الإنسان لا يستطيع إلا التعرف على خصائص الأشياء الظاهرة فقط ، ولا يقدر على إدراك كنهها ، وكيفياتها الداخلية الباطنة .

فليس من الممكن ظهور هذه الصفات غير المادية بنفسها بدون خالق ، وبظهور هذا المظهر للقدرة تثبت هذه الحقيقية الأبدية أنه يوجد بالضرورة في هذا الكون ذات محيرة للعقول تتصف بجميع الصفات المذكورة سابقا ، وإلا فليس من الممكن ظهور السماع والبصر بدون السميع والبصير ، ولا تبرز القدرة أو الطاقة بدون ذات مطلقة القدرة ، ولا يظهر عقل ؛ ولا شعور بدون عاقل ؛ وذي شعور ، ولا يظهر العلم بدون عليم وخبير ، وقس على ذلك .

وبهذا لاعتبار فإن جميع الصفات والمواهب التي توجد في أي إنسان أو في ذات واعية ذات إرادة تعكس وجود ما فوق الطبيعة ، وإن كان لا يوجد أي شبه بين الخالق والمخلوق ، ولكن مع ذلك يوجد بالضرورة بينهما علاقة ما ، وبعبارة أخرى : لا نقول إنه عزوجل يرى ويسمع كرؤيتنا و سماعنا ، أو أن علمه وقدرته ؛ كعلم الإنسان وقدرته ، بل هو ذو طاقات ؛ لا حد لها ولا نهاية ، وهو يعلم كل شئ في الكون ، ويرى كل شئ كل وقت ، ولا يأكل ؛ ولا يشرب ، ولا يرقد ، وهو غني عن خلقه ، ويراقب ويتعهد خلقه وينصرهم ، ولو صرف نظره عن خلقه لاختل نظام الكون كله : ﴿ إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا * ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده * إنه كان حليما غفورا ﴾ .[فاطر/٤١] .

بعد عرض الأدلة على إثبات وجود الله تعالى وصفاته ، نستدل استدلالا علميا على إثبات أفعاله عزوجل بأنه قد خلق من "مادة مشتركة" عناصر وجواهر ذات خصائص متنوعة تختلف بعضها عن بعض كليا ، ثم خلق من "تركيب هذه العناصر مظاهر منوعة وموجودات مختلفة ، ثم جعل بعضا منها جمادات ، وبعضا سماوات ، وبعضا نباتات ؛ وبعضا حيوانات ،

وأعطى كلا منها صورا وأشكالا متنوعة ، وأودعها التنوع والتلون في خصائصها ، وكل ذلك من معجزات الخلاقية والربوبية حتميا .

وبهذا الاعتبار فان كافة الأشياء الموجودة في هذا الكون وخصائصها المنوعة العجيبة معجزات الصنائع الإلهية ، التي تعجز العلوم الطبيعية الحديثة عن إدراك حقيقتها الصحيحة ، وماهيتها بالرغم مما حققته من منجزات هائلة ، وتقدمات وتطورات شاملة ، وهذا دليل لإلوهية البارئ تعالى ؛ لا يرد ولا يرفض ، يعني أن الإنسان لعاجز عن تعليل الأفعال الإلهية ، فعلى سبيل المثال أن هائيدروجن بحكم طبيعته غاز متقد محترق (مفردا) ، وأن أوكسجين بحكم طبيعته الأصيلة غاز يساعد في إحراق الأشياء ، ولكن كيف وجد الماء الذي يطفئ النار بتفاعلها ؟ فلم يستطع أحد من علماء الطبيعة تعليل ذلك ، وكذلك حال الأشياء الأخرى ، فبهذا الاعتبار يبدو هذا الكون ؛ كأنه "قرية السحر" ؛ فالمعنى اللفظي : "للإله" الذات التي تكون مذهلة في أفعالها (٦٩) .

فخلاصة القول أن البحث الذي يجري من الناحية الكلامية يدور حول ذات البارئ تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، وهذه الأمور الثلاثة تتأكد من الناحية العلمية بكل وضوح لا غموض فيه ولا تعقيد ، ويمكن في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة تقديم المزيد من الأدلة الجديدة بهذا الخصوص التي تزيدنا إيمانا ويقينا في جانب ، وفي جانب آخر تقضي على الضلالات الفكرية والنظرية ، فلابد من تدوين علم الكلام الجديد بتناول المعطيات العلمية الحديثة بالبحث ، وبهذا سيمكن هداية النوع البشري هداية صحيحة ، فيقول البارئ تعالى :

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ * وهدى * ورحمة * وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل/٨٩] ، ويقول عزوجل في موضع آخر : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات * وأنزلنا معهم الكتاب والميزان * ليقوم الناس

بالقسط ﴾ [الحديد/٢٥] .

نظرة على ذات البارئ تعالى :

إن النظريات التي قد اصطنعها أهل الكلام بشأن وجود البارئ تعالى و وحدانيته على أساس الفلسفة القديمة ، قد أصبحت باطلة لم يعد لها أي حقيقة ، ولا قيمة ، وهي لا تعارض القرآن الكريم ؛ والحديث النبوي الشريف فقط ، بل يظهر كذبها وبطلانها وزيفها من وجهة النظر العلمية أيضا ، فأرى من المناسب أن أقدم في ضوء الكتاب والسنة بعض الحقائق التي تتجلى ، وتبرز من ملاحظتها ذات الباري تعالى واضحة جلية ، وتقضى على كل نوع من أنواع الشكوك والشبهات .

فالحقيقة الأولى ؛ هي أن الله تعالى حي ، لا يموت ، كما يصرح به القرآن الكريم : ﴿ الله لا إله إلا هو * الحي القيوم * لا تأخذه سنة * ولا نوم ﴾ [البقره/٢٥٥] .

هذه الآية المباركة جزء من "آية الكرسي" التي تعد من أعظم وأفضل الآيات القرآنية ، والتي تثبت عظمة الله الجبار والقهار بعد القضاء على الجهالة والضلالة بشتى أنواعها وأشكالها بشأن توحيد البارئ تعالى ، وهذه الآية الكريمة تحتاج في بيان تفسيرها وتفصيلها إلى عنوان مستقل ، فبهذه المناسبة أرى أن أبين عدة مسائل تتعلق بالذات الإلهية ، فهذه الآية تناولت ثلاث صفات لله تبارك وتعالى ، إحداها : "الإله" ؛ ومعنى "الإله" اللغوي – كما سبق فيما مضى – الذات التي تتصف بأعمال مذهلة ، فإذا سرحنا النظر إلى الكون ، وما فيه من موجودات ، ومخلوقات مختلفة ، ومنوعة في مختلف أنحاء المعمورة من نواح مختلفة ، وجدنا في جميع أنحائه وأطرافه أشياء مدهشة ، وخصائصها الباهرة المذهلة التي لن يستطيع الإنسان فهمها وحل عقدها ، بل جميع هذه الأشياء بخصوصياتها العجيبة المذهلة تثير فيه الدهشة والحيرة ، فلابد لهذا الإله العملاق الذي يمسك جميع

الموجودات أن لا تزول من أن يكون حيا قيوما ، ويقظا منتبها ، بصفة دائمة ، لئلا يقع أي خلل في نظام هذا الكون الواسع ، فقيل : "لا تأخذه سنة ولا نوم" ؛ ولو نام أو تغافل عن نظام الكون لحظة لاختل سائر نظام هذا الكون ، اختلالا ، فيثبت من كل ذلك أن هناك في هذا الكون ذاتا لا محالة متصفة بأفعال عظيمة مذهلة ، وهي "الحي القيوم" ، وإن نظام هذا الكون المحكم العادل يدل دلالة قوية ؛ و واضحة بنفسه على وجود "هذه الذات العظيمة" ؛ فبهذا الاعتبار يثبت أن هناك اتصالا عميقا قويا ، وعلاقة محكمة بين القرآن الكريم ؛ ونظام الكون .

هذا تفسير وجيز للآية الكريمة السالفة الذكر ، وهناك بحث آخر من الناحية العلمية ، و هو ما هو الشئ ؛ الذي يقال له : حي ؟ فالشئ الحي هو الذي توجد فيه الحياة ، ومظاهرها ، و أدنى نموذج للحياة في عالمنا المعلوم "جرثومة" (خلية منفردة) ؛ توجد فيها مادة الحياة (بروتو بلازما) كالبكتيريا والجراثيم ، وهذه الحيوانات الصغيرة تسمى بـ"الوحدة" التي تسكن في ناحية أو غلاف يعرف بـ"الخلية" (Cell) ، وجميع الحيوانات (النباتات) الموجودة في العالم مجموعة لهذه الخلايا ، التي تطول وتقصر وفق حجم أجسامها ، فعلى سبيل المثال توجد في إنسان عشرات التريليونات من الخلايا التي يمكن النظر إليها بالمجهر ، و مادة الحياة التي توجد في خلية واحدة ، تكون مشتملة على أربعة عشر عنصرا (٧٠) ، ومن هذه العناصر المختلفة تتكون مادة الحياة ، ولا يقال لشئ "ذو حياة" بدون وجود مادة الحياة فيه ، فبهذا الاعتبار يلزم للأشياء ذات الحياة أن تكون جسما ، وهذه حقائق مسلمة مقررة أقرها علوم الطبيعة ، و لا يختلف فيها اثنان ، لأنها مبنية على التجارب والمشاهدات .

ولكن المتكلمين لم يفكروا من هذه الناحية ، وأصروا على دعواهم الزائفة بأن الله تعالى ليس بجسم ، بدون تقديم أي دليل على ذلك ، فإذا لم

يكن جسما ؛ فكيف يكون حيا ؟ ، هل توجد في الجواهر والعناصر المفردة حياة ؟ وهل يمكن أن تكون الأعراض كيانا حيا ؟ ومما يزيد الطنبور طنة أن الذي ليس بجوهر ، ولا عرض ؛ فكيف يكون متصفا بالحياة ؟ فهذا الدليل فحسب يكفي للرد على الفلسفات القديمة وبطلانها .

ويبد واضحا أن هذه الدعوى استهزاء من الناحية الفلسفية ، بل يلزم منها نفي القرآن الكريم ، فكأن العقل والنقل كليهما يعارضان هذه النظرية الباطلة المرفوضة : ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه * و لما يأتهم تأويله ﴾ [يونس/٣٩] .

وإن كان العهد القديم لم يتم فيه العثور على بروتوبلازما ، والخلية ، والجرثومة والبكتيريا وما إلى ذلك ، ولكن كان بوسع علماء الطبيعة أن يفكروا في أنه لا يوجد في العناصر المفردة ؛ أو دونها من الأشياء الأخرى حياة ، يظهر كأنهم لم يعيروا النصوص القرآنية الواضحة ؛ والأحاديث النبوية الصريحة أي اهتمام ، بل أغفلوها كليا قبل اختيار النظريات الفلسفية المتطرفة .

ليعلم أني لا أريد بهذه المناسبة أن أثبت أن رب العالمين أيضا – نعوذ بالله من ذلك – مركب من هذه العناصر الأربعة عشر ؛ أو من بروتولازما ، ليس هناك أي شبه ومماثلة بين ماهية الخالق ؛ وماهية مخلوقه ، بل أريد بهذه المناسبة أن أثبت أن المتكلمين لما نفوا وجود الباري تعالى الجسماني قياسا إياه عزوجل بالأشياء المادية الموجودة في عالمنا ؛ لماذا لم يفكروا في أنه كيف يمكن أن يبقي شئ حيا أو ذا روح بدون الجسم ؟ فمن الواضح أن في هذين القولين تعارضا وتناقضا .

و ورد في الآية السالفة الذكر لفظ "قيوم" ؛ معناه : القائم الحافظ لكل شئ (٧١) ، فبهذا الاعتبار لا يمكن أن يكون القائم أو الحافظ لكل موجودات العالم "ذرة" أو أصغر من ذلك ، بل لابد له أن يكون أعظم

وأكبر جسما من هذا الكون كله ، كما يقول البارئ تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره * والأرض جميعا قبضته يوم القيامة * والسماوات مطويات بيمينه * سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [الزمر/٦٧] ، وقد ورد تفسير هذه الآية الكريمة وشرحها في صحيح البخاري ؛ وصحيح مسلم ؛ كما يلي :

"يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ؛ أين ملوك الأرض ؟ " (٧٢) .

إن الذات الإلهية التي تقبض الأرض والسماء بما فيها من عشرات المليارات من الأجرام السماوية ، وكواكب لا حد لها ولا عد ، بإحدى يديها ، كيف يمكن تقدير عظمة هذه الذات وقدرتها وقوتها الجبارة ؟ وهو صعب جدا ، فإن القول بأن الله عزوجل ؛ الذي لا ند له ولا مثيل ، جوهر أو أصغر من ذلك ، ليس ذلك إلا استهزاء شنيعا ؟ .

وليعلم أن هذا الحديث النبوي يدل على هذه الحقيقة أيضا يعني أن البارئ تعالى يختلف تمام الاختلاف عن عالمنا ومظاهرها المادية ، وفيه رد على المتكلمين الذين لا يقرون بخالق الكون "داخلا في العالم ؛ ولا خارجا منه" ، وكذلك فيه رد على عقيدة "وحدة الوجود" ، والدليل العقلي على ذلك ؛ هو أن خالق شئ لا يدخل فيه نفسه ، ثم كيف يمكن أن يسع هذا الكون الصغير ذات خالق الكون العظيمة ؟ إذ من الواضح أن هذا الكون صغير جدا بالنسبة إلى البارئ تعالى ، الذي يقبض الأرض جميعا بإحدى يديه ، فهذا الكون لا يسعه ، ولا يتحمله ، بل وإن لكمه لكمة ، تهشم هذا الكون تهشما ؛ فبهذا الاعتبار هذا الكون واسع الأرجاء ، مترامي الأطراف كرة جغرافية بالنسبة للبارئ تعالى ؛ قد وضعها أمامه ليرى فيها جميع أفعال خلقه وأعمالهم ؛ ونشاطاتهم ؛ وحركاتهم ؛ وتنقلاتهم .

وفي الآية الكريمة حقيقة رابعة ؛ وهي أنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، وإلا يختل نظام الكون ، فالنوم خاص بشئ ذي روح ، وإلا يصبح هذا

اللفظ مهملا ، و تعتبر ذات الله تعالى من ذوات "النفس" أيضا ؛ كما أوضح الله تبارك وتعالى ذلك بلسان عيسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ تعلم ما في نفسي * و لا أعلم ما في نفسك ﴾ [المائدة/١١٦] ، فنظرا إلى ذلك ؛ وإن كان البارئ تعالى لا يشبه بالمخلوق ، ولكن توجد بينهما بالضرورة نسبة وعلاقة في درجة ، وقد ورد تفصيل ذلك بشئ من الوضوح في الحديث التالي : "لا إله إلا أنتَ ؛ الذي لا يموت ، و الجن و الإنس يموتون" (٧٣) .

فيثبت من هذا الحديث أن الله تعالى كالجن والإنس كائن حي يتصف بالجسم و النفس ، فهو بالضرورة "ذات" – أيا كان وجوده – فورد في بعض الأحاديث "شئ" و شخص ، لله تبارك وتعالى ، قال رسول الله ﷺ : "لا شئ أغير من الله عزوجل" (٧٤) ، و قال ﷺ : "لا شخص أغير من الله (٧٥) .

ومن الواضح أن الغيرة اسم لكيفية النفس لا يمكن تصورها بدون "شخص" ، لو فكر و تدبر المتفلسفون في مثل هذه الدلالات المنطقية ! فقد أثبت القرآن والحديث لله تبارك و تعالى جميع الأعضاء من اليد ؛ والقدم ؛ والوجه ؛ والعين ؛ والأصابع ، وما إلى ذلك ، وعلاوة على ذلك هو قادر وقدير ، وعليم وخبير ، وسميع وبصير ، متكلم ومريد ، ولكنه عزوجل ينفرد ويتميز في هذه الصفات عن جميع المخلوقات ، ولا توجد في هذا الكون ذات مثل ذاته عزوجل .

[يتبع]

المراجع :

(٦٢) الممكن : هو الشئ الذي وجوده وعدمه يكونان متساويين ، أو الشئ الذي

يحتاج إلى غيره لوجوده ، ومقابله واجب يعني البارئ تعالى .

(٦٣-٦٤) المواقف في علم الكلام عضد الدين عبد الرحمن الايجي : ص/٢٦٦ ، بيروت .

(٦٥) راجع كتاب اللمع : ص/١٨-١٩ ، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر .

(٦٦-٦٧) المواقف في علم الكلام : ص/٢٦٩ .

(٦٨) شرح الفقه الأكبر: لملا على قارئ : ص/٤٩-٥٠ ، دار الكتاب العلمية بيروت .

(٦٩) شرح الفقه الأكبر ؛ ملا علي القارئ : ص/٤٩-٥٠ ، دار الكتاب العلمية بيروت .

(٧٠) ليراجع للتفصيل في هذا الموضوع أي كتاب للحياتيات .

(٧١) المفردات في غريب القرآن ؛ راغب الأصفهاني : ص/٤١٧ ، دار المعرفة بيروت ١٩٩٨م .

(٧٢) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد : ١٦٦/٨ ، ط/استانبول ، صحيح مسلم ؛ كتاب صفات المنافقين : ٢١٤٨/٤ ، ط/دار الإفتاء – الرياض .

(٧٣) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد : ١٦٧/٨ .

(٧٤) المصدر السابق ، كتاب النكاح : ١٥٦/٦ ، صحيح مسلم ؛ كتاب التوبة : ٢١١٥/٤ .

(٧٥) صحيح البخاري ؛ كتاب التوحيد : ١٧٤/٨ ، صحيح مسلم ، كتاب اللعان : ١١٣٦/٢ ، وليراجع لمزيد من التفصيل إلى كتاب الأربعين في دلائل التوحيد ، أبو إسماعيل هروي .

بروتوكولات حكماء صهيون ٢-٢

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

أوردنا في الحديث السابق جزء مما جاء في التلمود – العهد القديم – ، الذي يبين فيه نظرة اليهود للمسيح عليه السلام ، وللنصارى وما يضمرون من عداوة لهم ، وكذبهم على الله جل وعلا ، وجرأتهم على الذات الإلهي .. ذلك أن الأسفار اليهودية المقدسة عندهم ، هي خير ما يدين بني إسرائيل ، فهي مليئة بما وصفوا به : بالدس والكذب ، و الاحتيال والفسق ، والفجور والانحلال ، والجبن والذلة والمسكنة ، والغدر والخيانة ، والانحرافات الدينية والخلقية والاجتماعية ، والسرقة والسلب والنهب ، والشره وعبادة الذهب ، وحب المال والوحشية ، وسفك دماء الغير ؛ و خاصة النساء ، والولدان ، والمستضعفين من الشيوخ ، هكذا جمع صفاتهم شوقي عبد الناصر في كتابه عن البروتوكولات ، والمستقاة من أسفارهم .

[ص/١٣]

هاهم يكذبون على أنبياء الله ، فإبراهيم ؛ قالوا عنه ، إنه بسبب الجوع ، انحدر إلى مصر ، فلما قرب قال لزوجته سارة ؛ لأنها جميلة ؛ قولي : إنك أختي ، حتى لا يقتلني المصريون ويستبقونك ، فأكرمه فرعون من أجلها لما أخذت لبيته ، فصار لإبراهيم بذلك غنم ؛ وبقر ؛ وحمير ؛ وعبيد ؛ وإماء وأتن ؛ وجمال ، بسبب سارة .

[ص/٢٠] ؛ كما في سفر التكوين إصحاح/١٢

وقالوا عن لوط : إن ابنتيه تآمرتا عليه فسقتاه خمرا ؛ ودخلت معه البكر في الليل فراشه ، واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ؛ ولا

بقيامها ، و قالت لأختها : إني اضطجعت مع أبي البارحة ، نسقيه الليلة خمرا ، فادخلي و اضطجعي معه ، فنجني من أبينا نسلا ، و عملت مثل أختها ، فحملت ابنتا لوط من أبيهما ، فجاءت كل منهما بولد ، عرف بهما قبائل بعد ذلك ، قاتلهم الله في تعمدهم الفحش والبهتان على أنبياء الله ، المنزهين عن الخبائث [ص/٢١] ؛ كما في سفر التكوين إصحاح/١٩ .

= و افتروا على داؤد عليه السلام مع امرأة أوريا الحتي [ص/٢٢-٢٤] ؛ كما في الإصحاح : ص/١١-١٢ ؛ سفر صموئيل الثاني .

= وكذبوا على امنون بن داؤد عليه السلام مع أخته [ص/٢٥-٢٦] ؛ كما في الإصحاح : ص/١٣ ؛ سفر صموئيل الثاني .

= وكذبوا على سليمان عليه السلام ، وقالوا : إنه عمل الرجس في عيني الرب ، ولم يتبع الرب ؛ فغضب عليه [ص/٢٧] ؛ كما في سفر الملوك إصحاح : ص/١١ .

فناس طباعهم الكذب و الافتراء ، جدير بالنصارى أن يتخلوا عنهم ، بل يجب أن يساعدوا في إبعادهم ؛ والنيل منهم ، لأنهم جرثومة ، إذا لم تحارب استشرى ضررها ، ونالت ممن احتضنها .

أدرك الرئيس الأمريكي بنيامين فرانكلين خطر اليهود على أمريكا ، والمجتمع الأمريكي في وقت مبكر ، فقد نبه شعب الولايات المتحدة الأمريكية إلى خطر اليهود ، وأعلن في المؤتمر الذي انعقد لإعلان الدستور الأمريكي سنة ١٧٨٩م ، حيث جاء في كلمته تلك قوله : هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة ، وذلك الخطر هو اليهودية ..

أيها السادة ! حيثما استقر اليهود ، نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب ، ويزعزعون الخلق التجاري الشريف ، إنهم كونوا حكومة داخل الحكومة ، وحينما يجدون معارضة من أحد ، فإنهم يعملون على خنق الأمة ماليا ، كما حدث للبرتغال ؛ وأسبانيا ، و منذ أكثر من ١٧٠٠/سنة ، و

هم يندبون مصيرهم ، لا لشئ إلا ادعاؤهم أنهم طردوا من الوطن الأم ، ولكن تأكدوا أيها السادة ، أنه إذا أعاد إليهم اليوم ، عالمنا المتمدين فلسطين ، فإنهم سيجدون المبررات الكثيرة ، لعدم العودة إليها ، أو الاكتفاء بها .

لماذا : الجواب ؛ لأنهم مثل الطفيليات التي لا تعيش على نفسها ، فهم مصّاصو دماء ، ومصّاصو الدماء لا يعيشون على مصّاصي دماء آخرين ، فهم لا يستطيعون أن يعيشوا فقط فيما بينهم ، أو مع بعضهم البعض ، إنهم لابد أن يعيشوا بين المسيحيين ، وبين الآخرين الذين هم ليسوا من جنسهم .

أنا اتفق تماماً مع الجنرال جورج واشنطن ، في أننا يجب أن نحمي هذه الأمة الوليدة من محاولات الاختراق ؛ والتأثير الماكر .. وهذا التأثير أيها السادة ! هم اليهود ..

في أي دولة استوطنها اليهود بأعداد كبيرة ، فإنهم قضوا فيها على الأخلاق ، وهبطوا بروحها المعنوية .

وإذا لم يمنع اليهود من الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بموجب الدستور ، ففي خلال ٢٠٠/عاماً سيصبح أحفادنا خادمين وعاملين في مزارعهم وحقولهم ، بينما هم جالسون في بيوت المال يفركون أيديهم في نشوة ، وسيحكموننا ويدمروننا ، ويغيرون شكل الحكومة التي ضحينا وبذلنا لإقامتها دماءنا ؛ وحياتنا ؛ وأموالنا ؛ وحريتنا الفردية .

أنا أحذركم أيها السادة ! إذا لم تمنعوا اليهود ، وتتجنبوهم في جميع الأزمان ، فسيلعنكم أبناؤكم في قبوركم ..

أيها السادة ! دعوا اليهود يولدون أينما ولدوا ، حتى وإن ولدت أجيالهم أبعد ما يكون عن آسيا ، فلن يكونوا شيئاً آخر ، فأفكارهم لا تتوافق ولا تتماشى مع أفكار الأمريكان .. حتى ولو عاشوا وسطنا .. معنا

.. لعشرة أجيال .. فالنمر لا يستطيع أن يغير جلده .. واليهود تهديد لهذا البلد ، إذا سمح لهم بدخوله ، ويجب أن يبعدوا عنه ، بواسطة هذا الدستور .. بنيامين فرانكلين [بروتوكولات حكماء صهيون ؛ تعاليم التلمود لشوقي عبد الناصر : ص/٢١٤ ، و"رسالة الإخوان" ؛ العدد/٢٠٩ ؛ الجمعة/٧ ، شعبان المعظم ١٤٢١هـ - ٢/١١/٢٠٠٠م : ص/١ ، النص الإنجليزي والترجمة] .

ومن هذه الكلمة ، ندرك أن لهم دورا كبيرا مع الأسبان ، في إسقاط دولة العرب ، وطردهم من الأندلس ، ولكنهم ، كما قال هذا الرئيس الأمريكي ، لا يؤمن شرهم ، فهم يسيئون لمن أحسن إليهم ، ويداهنون وينافقون ، كما هو المبدأ الذي ساروا عليه ، فقد صدر لقادتهم قرار في عام ١٤٩٢م ، سموه قرار الثأر ، وملخصه .

فلا أحد ينكر صحة وحجية القرار هذا ، حينما قيل : إن شيمور حاخام أسبانيا الأكبر ، كتب لحاخام القسطنطينية الأكبر ، يسأله النصح ، حين يتعرض شعبه في أسبانيا لخطر صدور قانون بطردهم من أسبانيا ، أو اضطهادهم .

فاجتمع ذلك الحاخام ، مع ذوى الرأي اليهودي عنده ، و تشاوروا في العمل ، فأعدوا صيغة الرد التي تحمى اليهود ، و تجعل لهم أثرا بعيد المدى ، حيث قيل : إن هذا الرد الانتقامي ، قد وجد في أرشيف توليد وبأسبانيا ..

وهذا زبدته :

يا أبناء موسى الأعزاء .. لقد تسلمنا خطابكم ، إن نصيحة الحاخامات والأحباء ؛ هي ما يأتي :

١- فيما يتعلق بما تقولونه ، بأن ملك أسبانيا يضطركم إلى اعتناق المسيحية ، افعلوا ذلك ، ما دمتم لا تستطيعون أن تفعلوا شيئا آخر .

٢- فيما يتعلق بتجريدكم من أملاككم ، اجعلوا أولادكم تجارا ،

حتى يجردوا المسيحيين من أملاكهم شيئا فشيئا .

٣- فيما يتعلق بمحاولات قتلكم ، اجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ، لعلهم يقتلون المسيحيين .

٤- فيما يتعلق بهدم معابدكم ، اجعلوا أبناءكم كهنة واكليريكيين - كرادلة - لعلهم يهدمون كنائسهم .

٥- فيما يتعلق بالمضايقات الكثيرة الأخرى ، التي تشكون منها ، رتبوا أموركم ، بحيث يصبح أبناؤكم محامين ، واعملوا على أن يتصلوا بشئون الدولة ، ويتولوا مناصبها دائما ، وبوضعكم المسيحيين تحت حكمكم ، قد تحكمون العالم ، وتنتقمون منهم .

٦- لا تنحرفوا عن هذا النظام الذي نعطيه لكم ، لأنكم ستجدون بالتجربة ، أنكم على الرغم مما أنتم فيه وعليه من مهانة ، فسوف تصلون إلى القوة الحقيقية . [ص/٢١٠]

ومن أجل هذه التعليمات السرية ، حرصوا على دقة التنفيذ ، فمثلا : صاموئيل زويمر ، أكبر قساوسة بريطانيا المتوفي عام ١٩٣٥م ، و كبير المبشرين ، الذي يسمونه المعلم ، وجدوا في وصيته عند ما مات : أن يدفن على الطريقة اليهودية ، مما يبرهن على أنه دخل النصرانية لهدف ، مع بقائه على عقيدته اليهودية ..

وتوغلوا في الفاتيكان ، حيث روي أن مجموعة من القس و الكرادلة يهود ، دخلوا النصرانية وانصهروا في الفاتيكان مع الكاثوليك ، من أجل تحقيق هدف ، وهو ما حصل بإصدار صك براءة لليهود من دم المسيح .

وقبلهم كان عبد الله بن سبأ اليهودي ، قد دخل الإسلام في أول أمره لغاية كبيرة ، تحققت في أول أمرها ، بفتنة قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثالث الخلفاء الراشدين ، وبذلك انكسر باب الفتنة ، في تاريخ الإسلام ، كما قال ﷺ ، وبقي مكسورا ، حيث نشأت الفرق الضالة ، وكانت أول

فرقة عرفت : الفرقة السبأية ، كما جاء ذكر ذلك في الفرق والنحل عند الشهرستاني ، وابن حزم وغيرهما ..

وفي الأندلس تمكنوا عند بعض ملوك العرب الطوائف ، وأفسدوا وقتلوا ، وضعضعوا ملك العرب ، حتى وجدوا الفرصة مع ملوك الأفرنج ، فكانوا لهم نعم السند حتى طرد العرب من الأندلس ، ثم لما أراد الأسبان والبرتغال تحويل العرب ؛ واليهود إلى النصرانية ، جاءت حكاية المورسكيين المسلمين ، ورحل للمغرب من قدر على الهجرة ، أما اليهود فهاجروا لتركيا .

وقد ذكر تفاصيل ذلك ابن عذارى في تاريخه : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ومحمد عبد الله عنان في كتبه : نهاية الأندلس ، وتاريخ العرب المتنصرين ، ودولة الإسلام في الأندلس ، ودول الطوائف ، وغيرهم .

كما أبان ابن عذارى أيضا في الجزء الأول من تاريخه ، أن أول من أقام دولة الفاطميين في المغرب عبيد الله ، الذي انتمي للنبي الحبيب ﷺ كاذبا ، وجده عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي - لعنه الله - الفارسي الأصل ، و قيل غير ذلك ؛ و أن أصله من يهود اليمن ، و اتصل بابن القداح ، وأخذ عنه المذهب ، كما أخذه من قبل قرمط .. [يراجع في هذا البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب : ١/٢٨١-٢٨٩ ، والأعلام للزركلي : ٦/٣٥]

وكتاب بروتوكولات حكماء صهيون ؛ وتعاليم التلمود لشوقي عبد الناصر ، الذي نحن بصدده ، كتاب يستحق أكثر من وقفة ، و تحليل ما جاء فيه ، لأنه يحوى أربعة وعشرين مادة ، أو بروتوكولا ، يدبر في كل واحدة خططا لبني جنسهم في أي موقع من الأرض ، بعمل تعاوني ، يريدون من ورائه السيطرة على العالم بأسره ، والتحكم في مصائر شعوب الأرض ، ضمن حلمهم الكبير ، بأن تكون أمم الأرض : اقتصاديا وعسكريا ، وعلميا وفكريا ، وتربويا وزراعيا ، وغير ذلك من علوم الأرض ، لتكون

مسخرة لهم ، وتحت هيمنتهم ، كما مر بنا في وصايا الحاخامات والأحبار ليهود أسبانيا في القرن الثامن عشر الميلادي ..

وحتى نعطي القارئ فكرة عن محتويات هذه البروتوكولات ، نورد واحدا منها ، هو الأخير رقم/٢٤ ، الذي جاء فيه هذا النص :

والآن سأعالج الأسلوب الذي نقوي به دولة الملك داؤد ، حتى تستمر إلى يوم القيامة .

إن أسلوبنا لصيانة الدولة ، سيشتمل على المبادئ ذاتها ، التي سلمت حكماءنا زمام العالم ، أي توجيه الجنس البشري كله وتعليمه .

إن أعضاء كثيرين من نسل داؤد ، سوف يعدون ، ويربون الملوك ؛ ومن يخلفونهم ، وهؤلآء لن ينتخبوا بحق الوراثة ، بل بمواهبهم الخاصة ، وهؤلآء الخلفاء سيعمقون فيما لنا من أفكار سياسية سرية ، وخطط للحكم - في حذر وسرية تامة - ، خشية أن تقع في يد أي إنسان آخر ، ستكون هذه الإجراءات لازمة وضرورية ، حتى يعرف الجميع أن من يقدرون على الحكم ، إنما هم الذين تعمقوا تعمقا كبيرا ، في أسرار الفن السياسي وحدهم ، وهؤلآء الرجال وحدهم سيدربون على كيفية تطبيق خططنا تطبيقا عمليا ، مستغلين تجاربنا خلال قرون طويلة .

إنهم سيعمقون في دراسة المناهج والنتائج المستخرجة من كل ملاحظات نظامنا السياسي والاقتصادي ، وكل العلوم الاجتماعية .

إنهم بإيجاز سيعرفون الروح الأصلية للقوانين التي وضعتها الطبيعة نفسها لحكم الجنس البشري ، وسيغير الأشخاص التالون مباشرة للملك ، إذا ما حدث وانساقوا وراء شهواتهم ، أو وجد أثناء تدريبهم أنهم ضعاف النفوس ، أو إذا بدا منهم ما يدل على ميل ضار بالسلطة .. فإن هذا كله يعرض كرامة التاج للخطر .

ولن يأتمن شيوخنا على زمام الحكم ، إلا الرجال القادرين على أن

يحكموا حكما حازما وعنيفا ..

إذا مرض ملكنا أو فقد القدرة على الحكم ، فسنضطره إلى تسليم الحكم ، إلى من أثبتوا من أسرته أنهم أقدر على الحكم .

إن خطط الملك العاجلة - وأهم منها خططه المستقبلية - لن تكون معرفة حتى لأقرب مستشاريه ، ولن يعرف خطط المستقبل إلا الحاكم ، والثلاثة الذين دربوه .. وسيرى الناس في شخص الملك - الذي سيحكم بإرادة لا تلين ، وسيروض نفسه ، كترويضه للإنسانية - مثلا أعلا للقدر ، ولن يعرف أحد أهداف الملك الحقيقية ، حين يصدر أوامره ، ومن أجل ذلك ، لن يجرؤ أحد ، على اعتراض طريقه السري .. ويلزم أن يكون للملك عقل قادر على تنفيذ خططنا ، ولذلك لن يعتلي العرش ، قبل أن يتأكد حكماؤنا من قوته الفعلية .. ولكي يكون الملك محبوبا ومعظما من كل رعاياه ، يجب أن يخاطبهم علانية مرات كثيرة ، فمثل هذا الطريق ، ستجعل القوتين في وفاق تام .

وأعني بالقوتين : قوة الشعب ، وقوة الملك ، اللتين فصلنا بينهما في البلاد الأممية "غير اليهودية" ، بإبقاء كل منهما في خوف دائم من الأخرى .

ولقد كان لزاما علينا أن نبقى كلتا القوتين في خوف من الأخرى ، لأنهما عندما انفصلتا وقعتا في أيدينا ، و على ملك إسرائيل أن لا يقع فريسة لأهوائه الشخصية ؛ ولا سيما الشهوانية منها .. إن قطب العالم ، في شخص الحاكم العالمي ، الخارج من بذرة إسرائيل ، ليطرح بعيدا ، كل الأهواء الشخصية ، من أجل مصلحة شعبه .

[وقعه ممثلو صهيون من الدرجة/٣٣، ص/٢٠٥-٢٠٧]

والدرجة/٣٣ ؛ هي أرقى درجة في الماسونية ، كما ذكر الدكتور الزعبي في تجربته في الماسونية بعد أن خرج منها ، وحاولوا قتله .

إنها مخططات شيطانية ، يضحون في سبيلها بكل شئ ، وليس من

المستبعد أن مثل شن الوزيرة الصهيونية والحاخام الهجوم على سياسة الجيش الصهيوني القمعية ضد الشعب الفلسطيني ، أن ذلك من باب ذر الرماد في العيون فقط ..

لكن الله سبحانه إذا قدر شيئا ضدهم ، هيأ أسبابه ، وعلينا معاشر المسلمين ، حتى نستحق دفاع الله عنا ، أن نكون مؤمنين حقا ، معتمدين عليه ؛ ومتوكلين عليه ، ومؤدين فرائضه علينا كاملة غير ناقصة : ﴿ و يمكرون ويمكر الله * والله خير الماكرين ﴾ [الأنفال/٣٠] .

مقتل جرجير :

كان جرجير ملك أفريقيا كلها قد أعد جيشا قوامه ٢٠/ألف لقتال المسلمين وعددهم قليل ، وبرز في مكان ومعه ابنته ومعها ٤٠/جارية في الحلى والحلل من أجمل ما يكون ، وجمع فرسانه ، وقال لهم : من قتل عبد الله بن سعد القائد المسلم ، زوجته ابنتي هذه ، وأعطيه ما معها من الجواري والنعم ، وأعلي منزلته عندي ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن سعد ، نادى في عسكره ، و قال : من قتل جرجير نفلته ابنته وجواريها .. فالتقى الجمعان ، واشتعلت نار الحرب .. فأشكل الأمر على القائد عبد الله بن سعد .

قال عبد الله بن الزبير ، و كان مع الجيش ، فرأيت عورة من جرجير، والناس على مصافهم ، رأيته على برذون أشهب ، خلف أصحابه ، منقطعا عنهم ، معه جاريتان له تظلانه من الشمس بريش الطواويس ، فأتيت فسطاط عبد الله بن سعد ، فطلبت الاذن عليه ، فقال لي حاجبه : دعه فإنه يفكر في شأنكم ، ولو اتجه له رأى ، لدعا بالناس ، فقلت : إني محتاج إليه ، لمذاكرته ، فقال له : أمرني أن أحبس الناس عنه ، حتى يدعوني ، قال عبد الله : فدرت حتى كنت وراء الفسطاط ، فرأى وجهي ، فأومأ إلي أن تعال .

فدخلت عليه ، وهو مستلق على فراشه ، فقال : ما جاء بك يا ابن

الزبير ؟ فقلت : رأيت عورة من عدونا ، فرجوت أن تكون فرصة هيأها الله لنا ، و خشيت الفوت .. فقام من فوره ، و خرج حتى رأى ما رأيت ، فقال : أيها الناس ! انتدبوا مع ابن الزبير ، إلى عدوكم ، فتسرع إلي جماعة ، اخترت منهم ثلاثين فارسا ، فقلت : إني حامل ، فاصرفوا عن ظهري من أرادني ، فإني سأكفيكم من أمامي – إن شاء الله – .

قال عبد الله : فحملت في الوجه الذي هو فيه ، وذب عني الناس ، الذين انتدبوا معي ، واتبعوني حتى خرقت صفوفهم إلى أرض خالية فضاء بيني وبينهم ، فو الله ما حسب إلا أني رسول إليه ، حتى رأى ما بي من أثر السلاح ، فقدر أني هارب إليه ، فلما أدركته طعنته ، فسقط : فرميت نفسي عليه ، والقت جارتياه عليه أنفسهما ، فقطعت يد إحداهما ، وأجهزت عليه ، ورفعت رأسه على رمحي ، وحال أصحابه ، وحمل المسلمون في ناحيتي وكبروا ..

فانهزم الروم ، وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا ، و ثارت الكمائن من كل جهة ومكان ، وسبقت خيول المسلمين ورجالهم ، إلى حصن سبيطلة ، فمنعوهم من دخوله ، وركبهم المسلمون يمنيا وشمالا ، في السهل والوعر ، فقتلوا أنجادهم وفرسانهم ، وأكثروا فيهم الأسارى ، حتى لقد كنت أرى في موضع واحد أكثر من ألف أسير .

وذكر أشياخ من أهل أفريقية ، أن ابنة جرجير ، لما قتل أبوها ، تنازع الناس في قتله ، وهي ناظرة إليهم ، فقالت : ما لي أرى العرب يتنازعون ؟ فقيل لها : في قتل أبيك ، فقالت : لقد رأيت الذي أدرك أبي فقتله ، فقال لها : الأمير عبد الله بن سعد : هل تعرفينه ؟ قالت : إذا رأيته عرفته ، فمر الناس بين يديها ، حتى مر عبد الله بن الزبير ؛ فقالت : هذا هو الذي قتل أبي ، فقال له عبد الله : لم كتمتنا قتلك إياه ؟ فقال ابن الزبير : علمه الذي قتلته من أجله . [البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى : ١/١١-١٢]

أمريكا بين موالاة اليهود ومعاداة العرب

نقاط سوداء يجب أن تعرف !!

بقلم : الدكتور غريب جمعة
(جدة)

قد يعجب البعض من السكوت الأمريكي على ما يحدث في فلسطين المحتلة من قتل وتشريد ؛ وهدم وتخريب ؛ وممارسات لا إنسانية تخجل منها الوحوش والسباع في غاباتها .

بل لم يقف الأمر عند حد السكوت فقد تجاوزه إلى وصف دفاع الفلسطينيين عن أنفسهم ضد الحرب الجهنمية التي يشنها إخوان القردة والخنازير بأنه نوع من الإرهاب !! أما العدوان والقتل والتشريد ؛ فهذا أمر طبيعي لضمان أمن إسرائيل .

بل تجاوز الأمر ذلك كله إلى الوقوف بجانب إخوان القردة و الخنازير ؛ وإمدادهم بكل ما أفرزته التكنولوجيا الحديثة من أسلحة الحرب حتى يتحقق ما يسمونه توازن القوى بين دولة العصابات المجرمة ؛ والعالم العربي بأسره .

والحقيقة أن هذا العجب من الدور الأمريكي لا مبرر له ؛ لأننا لو قلبنا صفحات التاريخ الأمريكي لوجدنا فيه نقاطا سوداء يجب أن تعرف ؛ لأن هذا الدور ليس وليد الأيام الحاضرة ؛ بل إنه ضارب بجذوره في أعماق التاريخ ، وهو ينقسم إلى قسمين :

١- دور أمريكا قبل قيام دولة العصابات المجرمة .

٢- دورها بعد قيام تلك الدولة العربية المجنونة.

ولنتحدث في هذه العجالة عن :

١- دور أمريكا قبل قيام إسرائيل :

١- لقد فتحت أبوابها أمام اليهود في العالم فهرعوا إليها طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ؛ حتى أصبحت الوكر الأول لليهودية العالمية ؛ وأدواتها التنفيذية ، وهي : الصهيونية والماسونية ؛ وجمعية بناى برث ؛ وشهود يهوه .

٢- سهلت الحكومات المتعاقبة لليهود وسائل السيطرة المالية حتى استطاعوا في أقل من قرن واحد أن يتحكموا في الاقتصاد الأمريكي ، ممثلاً : في الذهب ؛ والدولار ؛ والبترول ؛ والمعادن ؛ والبنوك ؛ والمواد الغذائية ، كما سهلت لهم السيطرة على جميع وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة ؛ وتلفزيون وسينما ؛ ومسرح ؛ وشركات إعلان ، واستطاعوا عن طريق ذلك الوصول إلى أخطر المناصب في البيت الأبيض و الجيش ؛ وغيرها من مؤسسات الدولة .

٣- كانت أشد الدول ترحيباً بالحركة الصهيونية ؛ حينما أعلن عن قيامها عام/١٨٨٢م ، وهي التي ساعدت على انعقاد أول مؤتمر صهيوني ؛ برئاسة هرتزل في مدينة "بال" بسويسرا عام/١٨٩٧م ، الذي قرر جعل فلسطين دولة يهودية ؛ و وضعت فيه "بروتوكولات حكماء صهيون" .

٤- حينما تباحث زعماء الحركة الصهيونية مع السلطان عبد الحميد يرحمه الله للسماح بهجرة اليهود إلى فلسطين ؛ وتملك الأراضي بها ، سعى السفير الأمريكي في ذلك الوقت سعياً حثيثاً للضغط على السلطات العثمانية ؛ حتى ترضخ للمطالب اليهودية ، ولكن السلطان عبد الحميد رفض هذه المطالب رفضاً باتاً ؛ وطرد مبعوث هرتزل من قصره .

و لم ينس اليهود للسلطان ذلك الموقف الشجاع ، و نذكر هنا بأسى قصة إبلاغ ذلك السلطان بقرار خلعه من الخلافة ، كما جاءت في العدد/٣١ من مجلة فلسطين البيروتية عن مذكرات السيد/فخري البارودي ؛

حيث قال :

"ومما يؤسف له أن الأحرار لم يختاروا لتبليغ قرار الخلع إلى عبد الحميد غير عما نوئيل قره صو أفندي ؛ وهو زعيم يهود سلانيك ، و كانت وقعت له حادثة تاريخية مع عبد الحميد طرده على إثرها من القصر ... ففي سنة ١٩٠٠م دخل قره صو على السلطان بفضل الفريق عارف بك ، وأبلغه أنه موفد من قبل الجمعية العالمية الصهيونية ، وأنه قادم يطلب إليه إعطاء الجمعية الأراضي الواقعة في المثلث القائم ما بين يافا وغزة ، والبحر الميت مقابل خمسة ملايين ليرة ذهبية عثمانية ؛ تدفعها الجمعية الصهيونية ؛ هدية إلى الخزينة السلطانية الخاصة ، وعشرين مليونا تقرضها الجمعية إلى الحكومة دون فائدة لمدة تعينها الحكومة .. فغضب السلطان ؛ وطرده من حضرته .

وعلى إثر ذلك ألف اليهود جمعية سرية أكثر أعضائها من اليهود المعروفين بالدونمة ، والدونمة : كما هو معروف لقب يطلقه الأتراك على جماعة اليهود الذين هاجروا من أسبانيا ؛ واستوطنوا سلانيك ، وهم طائفة يتظاهر أفرادها بالإسلام مع احتفاظهم باطنا بالدين اليهودي ، ومنهم جاويد بك ؛ وبعض رجال الاتحاد والترقي ، فاتصلت بأحرار الترك ، ودخل أعضاؤها حزب الاتحاد والترقي ، وتعاونوا مع كثيرين من شبان الضباط كأنور ونيازي ، وكانت لهم اليد الطولى في الانقلاب الثاني ، وخلع السلطان عبد الحميد ... و ظل اليهود ذوى نفوذ قوي في أوساط الاتحاديين ، وكانوا في جملة العناصر التي بثت الفساد في الشعب التركي ؛ وفي حكامه" .

ونعتذر للأخ القارئ إذا كنا قد ذكرنا هذه القصة المحزنة ، ولكنه تاريخ أسود الصفحات متشابك الحلقات ، وثيق الصلات بالقضية الفلسطينية .

٥- قبلت أمريكا تحت ضغط اليهود أن تخوض الحرب الكونية (العالمية) الأولى بحوار بريطانيا ، حيث حصل اليهود على وعد من بريطانيا بإعطائهم فلسطين إذا نجحوا في ذلك ، بل لقد وافق الرئيس الأمريكي ولسون على وعد بلفور قبل صدوره في ٧/نوفمبر ١٩١٧م .

٦- في ٣٠/من يونيو عام/١٩٢٢م ؛ أصدر الكونجرس الأمريكي قرارا بتأييد الصهيونية ؛ و وعد بلفور ؛ والموافقة على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وفي ٢٠/من سبتمبر من نفس العام ؛ وقع الرئيس الأمريكي هاردنج هذا القرار ؛ ومنذ ذلك التاريخ ارتبطت الولايات المتحدة الأمريكية ارتباطا رسميا بالوقوف إلى جانب اليهودية العالمية في عدائها للعرب .

٧- سخرت مذهبها الرسمي "البروتستانتية" لخدمة اليهودية العالمية والصهيونية ؛ حيث وقع خمسة آلاف قسيس بروتستانتي أمريكي عريضة رفعوها بمظاهرة كبيرة إلى الحكومة والكونجرس ؛ يطالبون فيها بفتح أبواب فلسطين على مصاريعها أمام الهجرة اليهودية ، وكانت هذه العريضة في شهر فبراير عام/١٩٤٥م .

٨- بعد انتهاء الحرب الكونية (العالمية) الثانية سارعت أمريكا لتأييد اليهود ؛ و حركتهم الصهيونية ، و تولى ترومان الرئاسة في ذلك الوقت ؛ فتفوق على سلفه روزفلت في مناصرة اليهود في حربهم للعرب ؛ حتى إنه تطوع شهر أغسطس عام/١٩٤٥م بإرسال كتاب إلى الحكومة البريطانية يطلب فيه فتح أبواب فلسطين لهجرة ١٠٠/ألف يهودي دفعة واحدة ، أما دوره في تقسيم فلسطين ؛ فهو من أعظم الأدوار خسة وعدوانا ؛ حيث استخدمت الحكومة الأمريكية ، وهو على رأسها، نفوذها للضغط بقوة على الدول التي تتلقى منها المعونة ، وذلك لتضمن أغلبية ثلثي الأعضاء للتصويت على قرار التقسيم الصادر في/٢٩ من نوفمبر ١٩٤٧م .

هذه مجرد نماذج فقط لموالاة أمريكا لليهود في حربهم ضد العرب ؛ قبل قيام دولتهم العربية المجنونة ذكرناها في هذه العجالة لتبين صلة الحاضر بالماضي ، وأن الأمر على نحو ما قال القائل :

ما أشبه الليلة بالبارحة !!

٢- دور أمريكا بعد قيام الدولة العربية :

ما كاد يتم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل ؛ حتى اعترف الرئيس الأمريكي ترومان الغارق في الصهيونية حتى أذنيه ، بعد دقائق من هذا الإعلان في ليلة ظلماء ؛ هي ليلة ١٩٤٨/٥/١٥م ، ثم سارت أمريكا بعد ذلك على سياسة مكشوفة تدعو إلى تأييد وليدتها وربيبتها في المحافل الدولية والمحلية ؛ بالإضافة إلى تسخير صحافتها وإذا عتها للإشادة بها ، والتغنى بأمجادها العلمية ؛ والعسكرية ؛ والفنية .

٢- قامت بإمداد الدولة الوليدة بكل مقومات الحياة ؛ حتى بلغت المساعدات المالية وحدها في مدى عشر سنوات ؛ أكثر من مليارين من الدولارات (كم يساوي هذا المبلغ بسعر الوقت الحاضر) ، كما نقلت الفائض من محصولها الزراعي إليها لتأمين الغذاء لها ، مع سداد العجز السنوي في ميزانيتها (لم يتوقف كل ذلك حتى الآن ؛ بل إنها تمدها بمفاعلات ذرية كان من نتيجتها امتلاك إسرائيل لقوة نووية رهيبة) .

٣- رسمت مخططا سياسيا لتشتيت أهل فلسطين ، و توطين اللاجئين العرب في كندا ؛ وأمريكا الجنوبية ؛ واستراليا ، ولم ينجح ذلك المخطط لعزم اللاجئين على البقاء بالقرب من وطنهم المغتصب ؛ حتى تأتى ساعة الخلاص ، بل أكثر من ذلك ، وضعت المشروعات التي تسهل القضاء على مشكلة اللاجئين ، وتصفية القضية الفلسطينية ، وإتمام الصلح بين العرب واليهود ، ومن أهم هذه المشروعات مشروع جونستون لاستغلال مياه نهر الأردن ، ومشروع ايزنهاور لتطوير المنطقة اقتصاديا حتى يتم

امتصاص اللاجئين العرب

٤- "إسرائيل بلد الشجعان ؛ وقد وجدت لتبقى" :

أتدري أخي القارئ ؟! من هو صاحب هذه المقولة ؟ إنه الرئيس جون كيندى الذي لقي جزاءه ، كما هو معروف للجميع ؛ حينما ظهر عجزه عن تحقيق ما وعد به اليهود ، ولم يشفع له عندهم ما قاله من تمجيد لإسرائيل ؛ ولا من تأييد أيضا ، وكانت وعوده لليهود ؛ هي الصلح مع العرب ؛ والتعاون الاقتصادي بين الطرفين ، وجاء من بعده "ليندون جونسون" ؛ الذي كان أكثر صهيونية منه ، وحدثت في عهده هزيمة يونيو ١٩٦٧م ، وكان يشيد دائما بالاعتزاز ؛ الذي تحس به الولايات المتحدة الأمريكية ، والشعب الأمريكي لما قدما لليهود من مساعدات ، ولم تكن خدمة اليهودية العالمية ؛ ودولة إسرائيل مقصورة على هذين الرئيسين ، بل قد تبارى الرؤساء قبلهما في ذلك كما ألمحنا من قبل .

٥- أشرنا إلى تسخير أمريكا لمذهبها البروتستانتي لخدمة اليهود من قبل ، و لكن التغلغل اليهودي في المذاهب الدينية للشعب الأمريكي ؛ وصل إلى المذهب الكاثوليكي أيضا ؛ حتى غدا البروتستانت والكاثوليك يتقبلون توجيهات اليهود وإرشادهم ، وهم ألد أعداء المسيحية ، وإن تظاهروا بغير ذلك .

ويؤيد ذلك تقرير الجمعية اليهودية الأمريكية لسنة ١٩٥٢م ، الذي نقلته مجلة "فلسطين" في عددها/٣٤ بتاريخ ١٩٦٣/٢/١م عن مجلة "كومن سنس الأمريكية" ؛ فقد جاء فيه :

"إن كل الانتصارات التي حققناها في السنوات الماضية وسنة ١٩٥٠م أزالت كل إشارة معادية في الكتب الدينية المسيحية ، وكتب التدريس ، وخصوصا ما يتعلق منها بقضية الصلب (صلب المسيح) فبفضل جهدنا اصبح ٨٥% من الكتب البروتستانتية خالية اليوم من العبارات

العدائية ؛ والمحقرة لليهود ، ولقد توصلنا إلى نتائج مماثلة في الكنائس الكاثوليكية إلا أن ذلك كان على نطاق ضيق ، فالجامعة الكاثوليكية أصبحت معملا لتطوير الوسائل الكفيلة بحمل قادة الرأي من الكاثوليك على اعتبار اليهودية دينا" .

أقول : واليهود اليوم يطالبون بحذف الآيات القرآنية التي تتحدث عن جرأتهم على الله وعلى رسله ؛ وجرائمهم في حق الإنسانية من الكتب المدرسية في بعض الدول العربية والإسلامية ، بل إنهم قاموا بطبع نسخ من القرآن الكريم خلت من هذه الآيات ، وقامت بتوزيعها في إفريقيا وغيرها لتضليل المسلمين الذين توزع عليهم هذه النسخ المحرفة .

٦- سعت الحكومة الأمريكية سعيا حثيثا لدى الحكومة الألمانية لدفع تعويضات لليهود في إسرائيل عن جرائم "هتلر" ، وتعد هذه التعويضات أكبر عملية نصب وسرقة واحتيال في التاريخ .

وقد تم عقد اتفاقية التعويضات الرسمية بين حكومتي ألمانيا الاتحادية وإسرائيل لدفع تعويضات للأخيرة ، ومن سخريات القدر أن إسرائيل لم تكن موجودة أيام الحرب ، ولم يقع عليها أي اضطهاد نازي .. ولكنه النصب والاحتيال ؛ و "البلطجة" الدولية ، وقد بلغت جملة التعويضات التي دفعتها ألمانيا الاتحادية لليهود ٤٣.٥/مليار مارك ألماني بفضل السعي والضغوط الأمريكية ، ولا شك أن هذه التعويضات تزيد من قوة إسرائيل في حربها ضد العرب .

٧- كان من نتيجة هذا الدعم والتأييد الأمريكي للدولة العربية المجرمة بكافة صوره وأشكاله أن قفز عدد اليهود من ٦٠٠/ألف يهودي عند قيام هذه الدولة إلى أكثر من مليونين عام ١٩٦٣م ، وكم يبلغ الآن عدد اليهود الآن في فلسطين المحتلة بعد زهاء أربعين عاما من ذلك التاريخ .. كل ذلك على حساب الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم من العرب.

شهادة حق للتاريخ :

وجزى الله الشيخ أحمد زكي يماني ؛ وزير النفط السعودي السابق ، وهو في غنى عن التعريف على شهادة الحق التي أدلى بها في اللقاء الذي أجرته معه قناة أبي ظبي الفضائية في ٢٠٠٢/٤/١٥م ؛ حينما قال :

إن الكونجرس الأمريكي أشد ولاء لإسرائيل من الكنيست الإسرائيلي ، وإسرائيل وجهت لطمة شديدة لأمريكا ؛ حينما رفضت ما طلبه بوش بالانسحاب من الأراضي والمدن ؛ التي احتلتها ، وشارون رئيس حكومة إسرائيل أقوى من الرئيس الأمريكي بوش ؛ وبعد ..

فهذه بعض النقاط السوداء في تاريخ موالاة أمريكا لليهود ومعاداتها للعرب ، أقول بعضها : وليست كلها ؛ حتى لا نعجب مما نراه اليوم ؛ ولنعرف أن التاريخ متصل الحلقات ، ولابد من الاعتبار به في معركتنا الشرسة مع هذا العدو المتبجح ، و الذي لا يعرف إلا لغة السيف ؛ والسوط .

ونحن اليوم مسئولون أمام الله ؛ وأمام التاريخ عن التعرف على قضايانا بطريقة علمية ؛ وعرضها على العقل الغربي عرضا أمينا موثقا بعيدا عن الصراخ ؛ والعويل ؛ والانفعال ؛ الذي عرفنا العالم به من خلال بعض القنوات الفضائية ، حتى يقتنع الجميع أو معظمهم أننا أصحاب حق ، ولسنا قطاع طرق ؛ كما يصورنا الإعلام اليهودي ، وما يماثله في حقده على العرب ؛ وعلى المسلمين ، و الذي يقوم بعملية غسل الأدمغة ؛ حتى لا ترى إلا بعينه ، ولا تسمع إلا بأذنه ، ولا تنطق إلا بلسانه .

وفي نفس الوقت علينا أن نجاهد في سبيل الله ، وليس في سبيل التراب والطين ... بل في سبيل الله وحده ، سواء كان جهادا عسكريا بالنفس والمال ؛ أو جهادا اقتصاديا بمقاطعة كافة البضائع الأمريكية والإسرائيلية ؛ أو جهادا ثقافيا بالتعريف بقضايانا ، وعرضها على الناس ؛

كما ذكرنا ؛ أو جهادا روحيا بصدق التوجه إلى الله تبارك وتعالى أن ينصر إخواننا المجاهدين ، وأن يثبت أقدامهم ، وأن يقذف الرعب في قلوب أعدائهم ، و أن ينزل على هؤلآء الأعداء بأسه ؛ الذي لا يرد عن القوم المجرمين .

وليسأل كل منا نفسه ؛ هل غزا أو حدث نفسه بغزو ؟

وماذا قدم لدينه ولأمته ؟

بقيت كلمة : قد يقول متشدق ممن يهرفون بما لا يعرفون ، ما شأنكم بأمريكا ؟ إن لها الحق أن توالي من تشاء ؛ وتعادى من تشاء ، نعم لها الحق في ذلك ، ولكن أي حق لها في أن تساعد في قتل العرب والمسلمين ؛ رجالا ونساء ؛ شبابا وشيوخا ؛ وأطفالا ، وأن يترك بعض الضحايا ؛ حتى تتعفن جثثهم ؛ وتزكم رائحتها الأنوف ، أي حق لها في أن تساعد في تدمير المدن ؛ وتخريب البيوت على ساكنيها ؛ وتشريد من نجا منهم من الموت ، أي حق لها في أن تساعد في هدم المنشآت ؛ والمؤسسات ؛ والمدارس ؛ والمساجد ؛ والمستشفيات ؛ والكنائس ، أي حق لها في ذلك كله ؟ أم أنها البلطجة الدولية ؟

يرحم الله القائد المسلم عبد الله التل ؛ فقد أفادنا كتابه :

"اليهودية العالمية ، وخطرها على الإسلام والمسيحية" .

نقول ذلك أداء للأمانة العلمية :

* * *

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ؛

وأهلك الكفرة والمبتدعة والمنافقين والمشركين والشيوعيين (آمين)

* * *

الدعوة الإسلامية :

اتقوا : فتنة هذا العصر

بقلم : الدكتور أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ [الأنفال/٢٥] تشير الآية الكريمة إلى أن هناك فتنة أي ابتلاء سيصيب الظالم وغير الظالم ؛ أي الصالح والطالح ، ولشدة هذا الابتلاء ؛ فهي تحذرنا بصيغة الأمر ، وأنه عقاب إلهي في الدنيا نتيجة لظلم الظلمة ، وتهاون غير الظلمة في منع الظلم والفسق .

قال ابن عباس رضي الله عنه : أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر فيما بينهم فيعمهم الله بالعذاب ، وفي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش ؛ أنها سألت رسول الله عليه الصلاة والسلام ؛ فقلت : يا رسول الله ! أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : "نعم إذا كثر الخبث" ، وفي صحيح الترمذي : "إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده" ، وقال عمر: "إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة ، ولكن إذا عمل المنكر جهارا استحلوا عقوبة الله كلهم ، وفي صحيح البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي الكريم ﷺ ، قال : "مثل القائم على حدود الله و الواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ؛ فأصاب بعضهم أعلاها؛ وبعضهم أسفلها ؛ فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ؛ ونجوا جميعا" ، ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة ، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وستظل هذه الآية تذر و

تحذر، وقد قال فيها الزبير بن العوام يوم الجمل ، وكانت سنه ستّا وثلاثين ما علمت أنا أردنا بهذه الآية إلا اليوم ، وما كنت أظنها إلا فيمن خوطب ذلك الوقت (١) ، وعن ابن عباس ﷺ قال : ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقي الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في قوم إلا كثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع الله عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم ، ولا ختر أي غدر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو (٢) .

وسنة الله في خلقه لم تتوقف بعد وستظل قائمة إلى يوم الدين والعقاب الإلهي للبشر أفراداً وجماعات في الدنيا لم يمض بعد ؛ و لن ينتهي بل يتم في أي لحظه وفق مشيئته سبحانه وتعالى ، ولكن تتغير صوره بما يلائم واقع كل فترة ومقتضياتها ؛ فقد يكون بالخسف والزلازل والبراكين ، وانهيار العمارات السكنية ؛ أو الفيضانات والغرق ؛ أو الجفاف ونقص المياه والتصحر ؛ أو الريح والحرائق التي تقضي على اليابس والأخضر ؛ أو الصيحة ؛ أو بأمطار حجارة من سجيل منضود ؛ أو بالرجفة ؛ أو بالسنين ونقص الثمرات ؛ أو المرض وانتشار الأوبئة ؛ وإرسال الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ؛ أو ببعث عباد أولى بأس شديد ؛ أو بالتيه في الأرض ، والابتلاء إن لم يكن عقوبة ؛ فهو تربية أو امتحان أو ترقية لمقام ، قال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر * والخير فتنة ﴾ [الأنبياء/٣٥] .

وقد اختلفت العقوبات الإلهية في الدنيا لمرتكبي الممارسات الجنسية المحرمة ؛ فعاقب الله عزوجل قوم لوط جزاء فعلهم اللواط حيث خسف بهم

(١) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : ج/٣ ، ص/٣٩١-٣٩٢ .

(٢) مختصر الترغيب والترهيب ابن حجر العسقلاني : ص/١٥٤ .

الأرض وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، وجعل ذلك قرآناً يتلي ليكون درساً وعبرةً لنا ولغيرنا ، قال تعالى في سورة الأعراف/٨٠-٨٤ : ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * إنكم لتأتون الرجال شهوةً من دون النساء * بل أنتم قومٌ مُسرفون * وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم * إنّهم أُناس يتطهرون * فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين * و أمطرنا عليهم مطراً * فانظر: كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ ، وقال تعالى في سورة هود/٧٧-٨٣ : ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيئ بهم * وضاق بهم ذرعاً * وقال هذا يوم عصيب * وجاءه قومه يهرعون إليه * و من قبل كانوا يعملون السيئات * قال : يا قوم ! هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم * فاتقوا الله * ولا تخزون في ضيفي * أليس منكم رجل رشيد * قالوا : لقد علمت مالنا في بناتك من حق * وإنك لتعلم ما نريد * قال : لو أن لي بكم قوة * أو آوى إلى ركن شديد * قالوا : يا لوط ! إنا رسل ربك * لن يصلوا إليك * فأسر بأهلك بقطع من الليل * ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم * إن موعدهم الصبح * أليس الصبح بقريب * فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها * وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود * مُسوَّمةً عند ربك * و ما هي من الظالمين ببعيد ﴾ (٣) .

ومن صور العقاب الإلهي أيضاً لتلك الفوضى الجنسية بالإضافة إلى ما سبق ذكره انتشار الأمراض التناسلية الفتاكة ، وكان أسبقها انتشاراً مرض الزهري في القرنين الخامس والسادس عشر، واستمراره إلى منتصف القرن العشرين مع ظهور آثاره في جميع أجهزة الجسم ، وانتقاله إلى الأطفال الأبرياء من ذويهم ، واستمراره في المريض لسنوات عشر أو عشرين أو

(٣) فقه السنه السيد سابق ج/٢ ص : ٤٢٧-٤٢٨ .

ثلاثين ، وموت المريض المؤكد بعد عذاب وجنون ، ثم كان انتشار مرض السيلان خلال القرنين أو القرون الثلاثة الأخيرة الذي يعذب مرضاه أقسى العذاب بإصابات المسالك البولية ، ويقتلهم في النهاية شر قتلة بالفشل الكلوي ، و ينتقل من الأم المريضة إلى أطفالها الأبرياء ؛ فيصابون بالعمى من أول يوم في حياتهم ، ثم ظهرت في القرن الحالي أمراض تناسلية عجيبة ، مثل : حمة فيروس الحلاء "هربس" ، وهي البثرات التي تظهر على الشفاه تصبح حمات تناسلية ، والمتدثرات "كلاميديا" التي كانت فقط تسبب الحثر "تراكوما" أي الرمد الحبيبي أصبحت هي أيضاً تسبب الأمراض التناسلية (٤).

وأخيراً كانت الطامة الكبرى نتيجة الإباحية الجنسية المطلقة ؛ والممارسات الشاذة له التي تعيشها دول أوربا الغربية وأمريكا ؛ ومن يسير على دربهم ، فيروساً يصيب جهاز الدفاع الطبيعي في جسم الإنسان ؛ ويضعف مقاومته للأمراض والجراثيم مسبباً لمرض الأيدز أو فقدان المناعة ، وبالرجوع إلى السجلات الطبية القديمة ، وكذلك إلى عينات الدم المخزونة في أمريكا وأوربا الغربية اتضح أن مرض الأيدز جديد ، ولم يكن موجوداً من قبل (٥) ، أي أنه صورة حديثة للعقاب الإلهي تلائم العصر الحالي ؛ كما أنه مرض بشري فقط إذ لم يظهر عند أي من الحيوانات ، أما الفيروسات التي وجدت عند بعض القرود الأفريقية كانت قريبة من فيروس (HIV) ، ولم تؤد إلى ظهور الإيدز (٦) ، وهذا المرض الملقب بطاعون العصر هو أخطر مرض في القرن العشرين ، وقد هلك بسببه الآلاف بالإضافة إلى الملايين الحاملة

(٤) مجلة التوحيد العدد/١ السنة ١٩ محرم ١٤١١هـ .

(٥) جريده الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٩٠/٦/١٠ مقال للدكتور على محمود حسب الله بعنوان (الإيدز مرض جديد) .

(٦) جريده الحياة اللندنية العدد ٩٩٩٠ الصادرة بتاريخ ١٩٩٠/٥/١٧ .

للفيروس ، وللوقوف على شدة هذا البلاء وبيان مدى خطورته ، فلنعلم أن هذا الفيروس الذي لا يستطيع العيش إلا لمده قصيرة خارج خلايا جسم الإنسان ، فإنه في حالة الإصابة به ؛ فهو مميت في جميع الحالات ؛ وليس هناك في الوقت الحاضر أو المستقبل القريب أي بوادر لشفاء المريض منه ، وقد يكون الشخص حاملا للفيروس ، وينقل العدوى للآخرين دون أن يدري هو ، ولا من حوله نتيجة لطول الفترة بين الإصابة ، وظهور الأعراض ثم الوفاة .

وإذا كان هذا المرض تنتشر العدوى به مباشرة عند كل إيلاج مهبلي أو شرجي ، والمرة الواحدة تكفي لالتقاط العدوى ، وكثرة الجماع ؛ و تبديل الأشخاص من غير وقاية تزيد من نسبة الخطر، وكذلك يصيب فئة أخرى من المنحرفين هم من مدمني المخدرات عند استعمالهم للحقن والإبر الملوثة عند حقنها في الوريد ، فالمشاركة في استعمال الحقن يؤدي حتما إلى التقاط الفيروس ، إلا أنه ولبيان صدق آيات الله في امتداد البلاء ليشمل العامة مع الخاصة نلمس ذلك في ارتفاع نسبة المصابين في غير الممارسين لهذه الفواحش والموبقات ، فالجنين في بطن أمه لم يرتكب أي إثم يستحق عليه العقاب إلا أن والده أو أمه أو كليهما مصاب بالإيدز؛ فينتقل الفيروس عن طريق المشيمة (أنسجة الرحم) أيام الحمل ، وأحيانا عند الولادة والرضاعة ، ومع قدوم ١٩٩٠م ولد حوالي ٢٠٠/ألف طفل إفريقي مصاب بالفيروس في منطقه وسط إفريقيا ، ومن المتوقع أنه في خلال التسعينات يولد حوالي مليون طفل آخر مصاب (٧) ، أما إذا ولد طفل غير مصاب ؛ فإن إصابة الأم أو انتقال العدوى إليها عن طريق الأب المصاب ؛ فسيعرض الطفل إلى

(٧) جريده الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٩٠/٧/٣م .

اليتم (فقد أمه) ، و يصيب هذا الفيروس أيضا إنسانا لم يرتكب أي علاقة جنسية غير مشروعة ، ولكنها سنة الله في أن يعم عقابه العامة مع الخاصة الظلمة وغيرهم حيث تنتقل العدوى من أقصى بلاد الغرب إلى أقصى بلاد الشرق من خلال دم ملوث أو عضو مصاب ينقل إليه عبر هذه المسافة الطويلة ليكمل له شفاء من مرض ، ويقضي عليه بهذا المرض الجديد .

تقول مصادر منظمة الصحة العالمية : إنه في بعض بلدان الشرق الأوسط ، تم فحص ٣ /ملايين و ٢٢٦٤٨/شخصا للكشف عن المصابين بهذا المرض خلال الفترة ما بين ٨٧-١٩٨٩م ؛ فعثر على ١٠٦٨/شخصا تأكد أنهم مصابون بالعدوى ، وذلك بمعدل ٣٣/في الألف ، مع العلم بأن نسبة الإصابة في الولايات المتحدة تقدر بمعدل ٢/إلى ٦/في الألف ، ويرى مدير المكتب الإقليمي للمنظمة في شرق البحر المتوسط أن السبب الرئيسي لانتشار العدوى في المنطقة يرجع إلى استيراد كميات من الدماء الملوثة في أوائل ، ومنتصف الثمانينات قبل تطور الوسائل الفعالة في فحص بنوك الدم والمتبرعين لها (٨) ، وهكذا تمضي سنة الله وتصدق آياته فعقابه يعم العامة والخاصة كلما شاعت الفاحشة ؛ وظهر المنكر ، وكما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : "إذا ظهر الزنا والربا في قرية ؛ فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله عزوجل" .

***

(٨) مجلة المجلة العدد ٥٤١ الصادرة بتاريخ ١٩٩٠/٦/٢٦ الموافق ١٤١٠/١٢/٤هـ ص : ١١ .

المضمون الإعلامي
في الدعوة الإسلامية

[١]

بقلم : الدكتور أحمد عبده عوض

يتباين الناس في نظرهم للأشياء ، وفي حكمهم ، وفي سلوكهم ، واتجاهاتهم باختلاف معتقداتهم وقيمهم الدينية .

ومن هنا تبدو أهمية الإعلام-في الدولة الإسلامية-إذ يشكل الوجدان المسلم ، ويوجه الفكر الإسلامي ، ويكسب الناس القيم الدينية وينميها لديهم ، و يتصدى للفكر المناهض ، ويقوم بدوره الصحيح في توعية الناس بالواجبات الدينية ، و في تعريفهم بدينهم ، و في دعوتهم إلى الدين الحق ، وهذا ما سنتناوله بالتحليل فيما يلي :

فقد جاءت دعوة الإسلام عامة لكل الناس-مع اتساع مضمون هذه الكلمة : ﴿ قل : يا أيها الناس ! إني رسول الله إليكم جميعا * الذي له ملك السماوات و الأرض * لا إله إلا هو يحيي و يميت * فآمنوا بالله ورسوله ﴾ [الأعراف/١٥٨]، واستوجبت هذه الرسالة المحمدية الجامعة الخاتمة القيام بواجبات التبليغ بصورة فردية ، و بصورة جماعية (١) : ﴿ يا أيها

(١) وردت الإشارة إلى التبليغ والبلاغ للرسالة في أربع وعشرين آية في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : ﴿ أبلغكم رسالات ربي * وأنصح لكم ﴾ [الأعراف/٦٢] ، أما البلوغ الزمني والمكاني - الأجل والمقام - قد وردا في ثمان وأربعين آية في القرآن الكريم ؛ مثل : ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾ [يوسف/٢٢] ، وقوله تعالى : ﴿ لا أبرح

حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾ [الكهف/٦٠] ، وأما البلاغة – أي حسن البيان وقوة >> الرسول ! بلغ ما أنزل إليك من ربك * وإن لم تفعل * فما بلغت رسالته ﴾ [المائدة/٦٧] ، والواضح من هذه الآية اقتران التبليغ بالرسالة ؛ فالرسول الكريم ﷺ إذا لم يقم بواجبات التبليغ فلن تتحقق الرسالة ، ولذا يتضح الملازمة بينهما ؛ مثل : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [النور/٥٤ ، العنكبوت/١٨] ، تبرز ماهية التبليغ وارتباطه بالخشية في قوله تعالى : ﴿ الذين يبلغون رسالات الله * ويخشونه * ولا يخشون أحداً إلا الله ﴾ [الأحزاب/٣٩] .

و تحدد آيات قرآنية كثيرة مهمة الأنبياء في التبليغ ، منها قوله تعالى : ﴿ وإن ما نُرينّك بعض * الذي نعدهم أو نتوفينّك * فإنّما عليك البلاغ ﴾ [الرعد/٤٠] ، وقوله تعالى : ﴿ فهل على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ [النحل/٣٥] ، ﴿ فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين ﴾ [النحل/٨٢] ، ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً * إن عليك إلا البلاغ ﴾ [الشورى/٤٨] ، ﴿ فإن توليتم * فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ [التغابن/١١] .

حتمية التبليغ والتي هي أساسية في الرسالات السماوية يُعلنها الأنبياء لأقوامهم ﴿ قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ﴾ [الأحقاف/٢٣] ، وذلك بعد أن يستنفدوا كل طاقتهم ، وبعد أن توصد أمامهم عقولهم وقلوبهم : ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ﴾ [الأعراف/٩٣] وبعد أن يصلوا لقناعة إيمانية أنهم لم يقصروا في دعوتهم ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ [الجن/٢٨] (٢) .

>> التأثير– فقد أشير إليها في أربع آيات فقط ، مثل : ﴿ فأعرض عنهم وعظهم * وقُلْ لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾ [النساء/٦٣] ، وقوله تعالى : ﴿ حكمة بالغة فما تغنى النذر ﴾ [سورة القمر/٥] .

(٢) يقول الإمام القرطبي في تفسيره : ٣/٢٤٨٥ : "وتبليغ القرآن والسنة مأمور >>

والحتمية السابقة استوجبت جهدا من أنبياء الله تعالى ، وصبرا ومجاهدة ، ولا ضير أن يساعدهم في هذا رجال آمنوا برسالتهم وبغايتهم ، يسعون لإعلام الناس بالدعوة الجديدة ، ويتحملون في سبيل ذلك المشاق والمتاعب ، والرسالة في كل مرحلة تحتاج إلى تبليغ خاص ؛ يتفق مع تطورات الرسالة الجديدة .

وتأسيسا على ذلك نجد حرص الرسول الكريم ﷺ على التبليغ والإبلاغ ، أكان ذلك بالاتصال الشخصي عن طريق إرسال الرسول والوفود والرسائل ، أم بالاتصال الجماعي بالناس عن طريق مجالس العلم والخطب والوعظ .

وكان هذا التبليغ إيصالا لفكر الرسالة وإعلانا عنها : فقد أرسل الرسول الكريم وفودا للتعريف بالإسلام ، وكان أبرزها وفده إلى النجاشي ملك الحبشه ، الذين تحدث باسمهم جعفر بن أبي طالب ﷺ ، وكان للإعلام المناهض رأى آخر ؛ فأرسلت قريش عبد الله بن أبي ربيعة ؛ وعمرو بن العاص ، حاملين هدايا للنجاشي ، وكان من شأنه أن ردها عليهما ، وخرجا من عنده مقبوحين .

والتحديد السابق لماهية التبليغ باعتباره إحدى وسائل الإعلام في الإسلام وإحدى مهام الرسل الوثيقة الصلة بطبيعة الرسالة ؛ التي لن يتحقق

>> بهما ، كما أمر النبي الكريم ﷺ بتبليغهما ؛ فقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسول ! بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ ، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي الكريم ﷺ : "بلغوا عني ولو أية وحدثوا عن بني إسرائيل ؛ ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" ، وفي الخبر أيضا : من بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله أخذ به أو تركه ، وقال مقاتل : من بلغه القرآن من الجن والإنس ؛ فهو نذير له ، وقال القرطبي : من بلغه القرآن ؛ فكأنما قد رأى محمدا ﷺ وسمع منه .

وجودها بصورة واقعية إلا بالتبليغ والإبلاغ ، هذا التحديد يعد جزئياً في المفهوم الكلي للإعلام في الإسلام ، ولذا تبرز دائرة أخرى أكثر اتساعاً للإعلام الإسلامي وهي "الدعوة" باعتبارها ركيزة أساسية في النظرية الإعلامية في الإسلام ، وهذا ما سنعرض له فيما يلي :

المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد الدعوة الصريحة للإعلام بالدعوة أو الجهر بها (٣) : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [الشعراء/٢١٤] ، ﴿ فاصدع بما تؤمر * وأعرض عن المشركين ﴾ [الحجر/٩٤] ، ثم إنذار العرب جميعاً : ﴿ لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم * فهم غافلون ﴾ [ياسين/٦] ، ثم بيان إرساله ﷺ إلى كل العالمين : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء/١٠٧] ، ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس * بشيراً ونذيراً * ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [سبأ/٢٨] ، ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ [الفرقان/١] .

و يؤكد القرآن الكريم أن رسالات الأنبياء استوجبت الجهر بالدعوة : ﴿ إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل * أن يأتيهم عذاب أليم ﴾ [نوح/١] ، ويُلح أنبياء الله على بيان ذلك : ﴿ ألا تعبدوا إلا الله * إنني لكم منه نذير وبشير ﴾ [هود/٢] ، ﴿ قل : يا أيها الناس ! إنما أنا لكم نذير مبين ﴾ [الحج/٤٩] ، ﴿ لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك

(٣) وردت الإشارة في القرآن الكريم إلى الإنذار بالدعوة بصورتيه الإسمية والفعلية في ١٢٤/موضعاً تأكيداً لأهمية التبليغ بالإنذار ، واعتبار ذلك جزءاً من إعلام الناس بالدعوة ، فالصيغ الفعلية وردت في ٤٥/موضعاً ، بينما وردت الصيغ الأسمية في ٧٩/موضعاً ، ونجد الثراء والتنوع في التناول في تلك الصيغ من الأفعال المضارعة والأمرية ؛ والماضية ، ومن المفرد ؛ والجمع ، ومن اسم الفاعل ؛ واسم المفعول ؛ وصيغة المبالغة .

لعلهم يتذكرون ﴾ [القصص/٤٦] ، ﴿ لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم * فهم غافلون ﴾ [ياسين/٦] .

ونلمح تشابهاً قرآنياً بين التبليغ والإنذار ، فمفهوم الإنذار ينضوي تحت التبليغ ، وكلاهما تحقيق للدعوة والإعلام عنها ، ولذا نجد الربط بينهما في قوله تعالى : ﴿ هذا بلاغ للناس * ولينذروا به ﴾ [ابراهيم/٥٢] ، و كما أن القرآن الكريم قصر مهمة الرسل في التبليغ-كما تقدم-فقد قصرها هنا في إنذار أقوامهم : ﴿ إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ [الأعراف/١٨٨] ، ﴿ إن يوحي إليَّ إلاّ أنما أنا نذير مبين ﴾ [ص/٧] ﴿ قل : إنما العلم عند الله * وإنما أنا نذير مبين ﴾ [الملك/٢٦] .

وإذا أضفنا للجهر بالإنذار بالدعوة عنصراً آخر هو التبشير لتكامل مفهوم التبليغ لاكتمل مفهوم التبليغ-بالإنذار والتبشير-حيث ربط القرآن الكريم بينهما في خمسة عشر موضعاً ، فأهمية التبليغ في القرآن الكريم تقوم عليهما : ﴿ قيماً لينذر بأساً شديداً من لَدُنْه * ويُبَشر المؤمنين ﴾ [الكهف/٢] ، ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين * وتنذر به قوماً لداً ﴾ [مريم/٩٧] ، ﴿ بشيراً ونذيراً * فأعرض أكثرهم * فهم لا يسمعون ﴾ [فصلت/٤] ، وماهية التبليغ عن رسل الله تعالى تجمع بينهما : ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ [البقرة/٢١٣] ، ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين ﴾ [النساء/١٦٥] ، ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ [الأنعام/٤٨] ، وماهية التبليغ عن رسول الله ﷺ تتحقق بهما معا : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ﴾ [البقرة/١١٩] ، ﴿ وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ﴾ [الفرقان/٥٦] ، ﴿ يا أيها النبي ! إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ [الأحزاب/٤٥] ، ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ﴾ [فاطر : ٢٤] .

وهكذا فإن القرآن الكريم يوسع دائرة التبليغ ، باعتباره إعلاما للمتلقين بدين الله تعالى على اختلاف أحوالهم ، كما يوسع مضمون الرسالة

المبلغة بالتبشير والإنذار ، والترغيب والترهيب ؛ وهذا متحقق في التبليغ بالقرآن الكريم ، وفي رسالة أنبياء الله ، وفي رسالة الرسول الكريم ﷺ .

وحديثنا عن (التبليغ) ؛ هو جزء من مفهوم أكبر ؛ هو : (الدعوة) التي أشرنا إلى أنها ركيزة أساسية في النظرية الإعلامية في الإسلام ، فماذا عن الدعوة في المضمون الإعلامي للدين الإسلامي ؟

الحق أن القرآن الكريم يؤكد دوما أن الدعوة هي سبيل أنبياء الله تعالى لإبلاغ رسالتهم لأقوامهم ؛ وإخبارهم وإعلامهم بها : ﴿ قل : هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة * أنا * ومن اتبعني ﴾ [يوسف/١٠٨] ، و رد أقوامهم واضح : ﴿ وقالوا : إنا كفرنا بما أرسلتم به * وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ﴾ [هود/٦٢] ﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ [الشورى/١٣] ، أما المؤمنون فإن استجابتهم لدعوة الرسل فورية : ﴿ إنما كان قول المؤمنين * إذا دعوا إلى الله ورسوله * ليحكم بينهم * أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ [النور/٥١] ، وأنبياء الله يبذلون جهدا مضاعفا في دعوة أقوامهم : ﴿ قال : رب ! إني دعوت قومي ليلا ونهارا * فلم يزدهم دعائي إلا فرارا * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم * جعلوا أصابعهم في آذانهم * واستغشوا ثيابهم * وأصروا * واستكبروا استكبارا * ثم إني دعوتهم جهارا * ثم إني أعلنت لهم * وأصررت لهم إصرارا ﴾ [نوح/٥-٩] (٤) .

(٤) الملاحظ في الآية الكريمة أنها جمعت بين أمور متعددة في قضية الدعوة ؛ وقوة الداعية ، فهناك ضرورة مواصلة الدعوة ، ومقابلة ذلك بتباعد الإيمان من قوم نوح عليه السلام ، وتعبيرهم عن ذلك بوسائل الرفض المختلفة ، وذلك بعدم استماعهم ، وإعراضهم ، وإنصرافهم ، واستكبارهم ، ورغم ذلك ؛ فنوح عليه السلام حريص على معاودة الدعوة و إظهارها ، تارة بالجهر بها ، و أخرى بالصياح ، ثم بالإصرار ، و إتيانهم في منازلهم ؛ أي أنه لم يبق مجهودا إلا فعله .

سمات منهجه ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى :

ونستطيع أن نرصد سمات منهجه ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى في النقاط التالية :

الأولى : الدعوة إلى مكارم الأخلاق : يقول الحق تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم * ولو كنت فظا غليظ القلب * لأنفضوا من حولك * فاعف عنهم * واستغفر لهم * وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران/١٥٩] ، وهذا الخطاب إليه ﷺ اشتمل على عدة أخلاقيات حميدة ، وآداب عظيمة في التعامل مع الناس ، و في دعوتهم إلى الله تعالى ، و يعضد هذا قول الحق تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * لمن كان يرجو الله واليوم الآخر * وذكر الله كثيرا ﴾ [الأحزاب/٢١] ، فالتأسي برسول الله ﷺ في أقواله ، وأفعاله ، وأحواله ، والاقتداء بشمائله ؛ تحقيقا لإسلامية الأمة ، التي لا يكتمل إيمان أحدها ؛ حتى يكون هواه تبعا ؛ لما جاء به الرسول الكريم ﷺ .

و أهم مكارم الأخلاق التي يدعو رسول الله ﷺ هي التي أوجزها في قوله : "مكارم الأخلاق عشرة ، تكون في الرجل ؛ ولا تكون في ابنه ، و تكون في الابن ؛ ولا تكون في الأب ، وتكون في العبد ، ولا تكون في سيده ، يقسمها الله لمن أراد به السعادة : صدق الحديث ، وصدق البأس ، و إعطاء السائل ؛ والمكافأة بالصنائع ، وحفظ الأمانة ، وصلة الرحم ، و التذمم للجار ، والتذمم للصاحب ، وإقراء الضيف ، ورأسهن الحياء" (٥) .

ومنها قوله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه : أطعم الطعام ، وأفش السلام ، وصل الأرحام ؛ وصل بالليل ؛ والناس نيام ، تدخل الجنة بسلام" (٦) .

و منها قوله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه أيضا : "اتق المحارم تكن أعبد

(٥) رواه الحاكم والبيهقي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٦) رواه أحمد وابن أبي الدنيا وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغني الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك ؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب" .

ووصاياه الذهبية ﷺ للصحابة رضي الله عنهم تمثل إطارا جامعا لمكارم الأخلاق ؛ فيقول أبو ذر الغفاري ﷺ : أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير : أوصاني بأن لا أنظر إلى من هو فوقي ، وأن أنظر إلى من هو دوني ، وأوصاني : تحب المساكين والدنو منهم ، وأوصاني : أن أصل رحمي وإن أدبرت ، وأوصاني : أن لا أخاف في الله لومة لائم ؛ وأوصاني : أن أقول الحق وإن كان مرا ، وأوصاني أن أكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة" (٧) .

و تتنوع مكارم الأخلاق في الإسلام لاتساع دائرة الأخلاق الحميدة ، التي هي من المضامين الأساسية لدعوة الحق ، ولإعلام الناس بالقيم التي يدعو إليها هذا الدين العظيم ؛ ولذا كان الرسول الكريم ﷺ يقدم توجيهاته الأخلاقية إلى أصحابه ، ودائما تكون هذه التوجيهات متصلة بالسلوكيات والنصائح والأخلاقيات الإسلامية ، وتكون كذلك جامعة لأسس مكارم الأخلاق ؛ فانظر إلى هذه الوصية الجامعة في قوله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ : "يا معاذ ! أوصيك باتقاء الله ، و صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، وحفظ الجار ، ورحمة اليتيم ، ولين الجانب ، وبذل السلام ، وسنن العمل ، وقصر الأمل ، ولزوم الإيمان ، والتفقه في القرآن ، و حب الآخرة ، و الجزع من الحساب ، وخفض الجناح ، وأهلك : أن تسب حكيما ، وتكذب صادقا ، أو تطيع آثما ، أو تعصى إماما عادلا ، أو تفسد أرضا ، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ، ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة : السر بالسر ، والعلانية بالعلانية" (٨) . [يتبع]

(٧) رواه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ .

(٨) رواه البيهقي في الزهد ، وأبو نعيم في الحلية عن معاذ بن جبل ﷺ .

الوكالة بالخصومة (المحاماة)

بين المانعين والمجيزين في الفقه الإسلامي

[٤/الأخيرة]

بقلم : الدكتور عارف علي عارف
(الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا)

و من هذه المصالح أيضاً هو أن حق المتهم في الاستعانة بمحام يعد من أهم ضمانات التحقيق والمحاكمة ، لما يتضمن من بث الثقة في سلامة الإجراءات ، وأكثر ضماناً في منع استعمال الوسائل الممنوعة ، أو غير الجائزة مع المتهم أثناء التحقيق ، فضلاً عن أنه يهدئ من روع المتهم ويطمئنه ويساعده على الاتزان والهدوء في إجابته ، وهذا الحق قد ضمنته أيضاً الدساتير و القوانين الحديثة ، فللمتهم الحق في استصحاب محاميه في أي مرحلة من مراحل التحقيق ، سواء أمام الشرطة ، أو النيابة ؛ أو المحكمة ؛ أو هيئات التحكيم ؛ أو الجهات الإدارية ذات الاختصاص القضائي ، وحضور المحامي في هذه المراحل من الضمانات الهامة التي تزيد الثقة في سلامة الإجراءات التي تتم أمام هذه الجهات ، وتدعم قيمتها في الإثبات ، فحضوره يعد بمثابة رقابة على المحقق تمنعه من اتخاذ أي إجراء تعسفي مع المتهم ، واستجواب المتهم دون دعوة محاميه يعد إخلالاً بحق الدفاع (٨٤) .

وبعد هذا العرض لأدلة الفريقين رجحان رأي القائلين بمشروعية مهنة المحاماة لقوة أدلتهم وضعف أدلة المانعين-كما بينا-ولكن المجيزين لهذه

(٨٤) انظر : اعتراف المتهم فقها وقضاء ، خليل عدلي (القاهرة - دار الكتب القانونية ١٩٩٦م) : ص/٥١ وما بعدها، وانظر المادة/٣٦ من قانون المحاماة المصري ، رقم/١٧ ، لسنة ١٩٨٣م .

المهنة لم يجيزوها بإطلاق ، بل اشترطوا شروطاً ؛ و وضعوا لها ضوابط شرعية ، حتى تدخل في دائرة المشروعية (٨٥) .

وما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن نبين أن هذه المهنة الشريفة قد وصلت إلى درجات عالية من الرقي والتنظيم القضائي الإسلامي عفوية ، ليس لها نظام جامع ومكتمل ، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن الوكالة عموماً في الفقه الإسلامي طوعية مجانية ، وليست صناعة يرتزق منها ، فهي إلى المروءات والنخوات أقرب ، فهي لا تعدو أن تكون كلمة خير يقدمها الأخ عن أخيه ، ثم أصبحت وسيلة للكسب المادي والارتزاق كبقية الصناعات الأخرى ، ونظمت في العصور الأخيرة (٨٦) ؛ فالأصل في الوكالة بالخصومة والهدف منها كان هو الإعانة والمساعدة من الوكيل لموكله ، بدليل حديث ابن عمر من قوله ﷺ : "من أعان على خصومة" ، فمن هنا لم تكن تتخذ وسيلة أو مهنة للارتزاق ، ولهذا لم ترد ضوابط و قيود تنظمها على وجه الدقة كمهنة ، وإنما ورد ذلك على سبيل العموم ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : "إنكم تختصمون إليّ ، و لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض" ، وقوله عليه الصلاة والسلام : "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم" (٨٧) ، وهو الدائم الخصومة .

إن تزاحم وكلاء الدعوى على أبواب القضاة في التاريخ الإسلامي ، بدأ منذ عصر العباسيين ؛ وأصبح جزءاً من النظام القضائي آنذاك .

لقد عمد قوم إلى احترافها والحضور أمام القضاة ، وكالة عن المتخاصمين ، الذين لم تتيسر لهم معرفة أحكام الشريعة ، أو لم تكن أعمالهم

(٨٥) بحث : الضوابط الشرعية لممارسة مهنة المحاماة ؛ د/عارف علي عارف ، قيد النشر .

(٨٦) نظام الحكم للقاسمي ، مصدر سابق : ص/٣٩٠ .

(٨٧) البخاري : ٩١/٩ .

تسمح لهم بالحضور عند القاضي كل حين ، أو لأن الموكل يتعذر حضوره لأي سبب كالمريض والمرأة المخدرة (٨٨) ، وقد ذكر التنوخي أسماء بعض الوكلاء في كتابه نشوار المحاضرة (٨٩) .

والفقهاء القدامى رحمهم الله لم يؤصلوا للدفاع والوكالة بالخصومة كنظرية عامة ، كما هو الحال في التشريع الحديث ، وربما كان سبب ذلك أن مجالس القضاء على مدى التاريخ الإسلامي كانت مجالس علنية ، يحضرها أهل العلم والفتيا ؛ والفقه والدراية ، حتى إن بعض الفقهاء جعل ذلك الحضور واجباً (٩٠) ، إن حضور مثل هؤلاء الوجوه يشكل في الغالب رقابة فقهية أمينة تساعد القاضي على أن يقضي بالعدل ، ونتيجة ذلك قلّ التوكيل بالخصومة ، وأدى ذلك إلى عدم الاهتمام الكبير بهذه المهنة وتنظيمها وترتيبها ، كما هو عليه الآن في العصر الحديث (٩١) .

(٨٨) القضاء ونظامه / الحميضي ، مصدر سابق : ص/٤٧٥ ، القضاء والقضاة في الإسلام ، عصام محمد شبارو (بيروت – دار النهضة العربية ١٩٨٢م) : ص/٥٢ .

(٨٩) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، أبو علي المحسن بن علي التنوخي ، تحقيق عبود الشالجي (بيروت – دار صادر) نقلاً عن القضاء والقضاة في الإسلام : ص/٥٢.

(٩٠) نظرية الدعوى بين الشريعة الإسلامية ؛ وقانون المرافعات المدنية والتجارية ، محمد نعيم ياسين ، وزارة الأوقاف الأردنية : ٢٦/٢ .

(٩١) حقوق المشتبه في مرحلة التحقيق ، عوض محمد عوض ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد/٢٢ ، سنة/١٤٠٠هـ ، بحث : حقوق المتهم في مرحلة التحقيق ، د/طه جابر العلواني ، مقدم إلى الندوة العالمية الثالثة بالرياض في موضوع المتهم وحقوقه في الشريعة الإسلامية ١٩٨٢م : ص/٣٧ ، ويذكر أنه في مدينة قرطبة أسس الأمويون دار لشورى القضاء ، أعضاؤها من جلة العلماء ، يرجع إليهم في تقرير الأحكام ، ولم يكن يرون بأساً أن يجلس قوم من أهل الفقه والكرامة في مجلس القضاء للحكم ، انظر : تاريخ القضاء في الإسلام ، محمود محمد عرنوس ، مكتبة الكليات الأزهرية ، مطبعة البابي الحلبي : ص/١٣٦ .

لذلك لم تكن لوكلاء الخصومة منظمة مستقلة عن القضاء تجمعهم و ترعي مصالحهم ؛ و تراقب أعمالهم وسلوكهم على هيئة نقابة المحامين اليوم ، كما أن عدم تقنين السلطات لقواعد الدفاع أمام القضاء التي وضعها الأئمة والفقهاء أدى إلى عدم تنظيم هذه المهنة ؛ وعدم ارتقائها للمستوى الرفيع الذي كان يجب أن تتبوأه (٩٢) .

وهناك بعض أوجه الخلاف بين النظامين نذكرها اختصارا :

إن نظام وكلاء الخصومة المبنية على قواعد النيابة والوكالة في الفقه الإسلامي كانت قائمة على السهولة واليسر لبساطة الحياة آنذاك ، بخلاف نظام المحاماة في العصر الحديث ؛ فهي مهنة من المهن الحرة المبنية على نظام معقد –لتعقد أنظمة الحياة– ومنظمة تنظيما مستقلا عن القضاء ، تنظمه نقابة المحامين بلوائحها وأنظمتها ومتابعتها للسلوك المهني للمحامين ورقابتها عليهم ضمن ضوابط معينة و محددة ، و بشروط يجب توافرها لمن يمارس المهنة (٩٣) ، أما وكلاء الخصومة فقد كان القضاة هم الذين يتولون الرقابة والإشراف عليهم ، وأحيانا يتولى المحتسب الرقابة عليهم (٩٤) ، ثم إن حضور محام في محكمة الجنايات لمعاونة المتهم هو أمر واجب في أغلب التشريعات الوضعية ، بينما توكيل المحامي عند الفقهاء عقد اختياري (٩٥)،

(٩٢) المحاماة في الإسلام ، الأستاذ إحسان الكيالي ، مصدر سابق .

(٩٣) قواعد المرافعات في التشريع المصري المقارن ، المطبعة النموذجية – القاهرة : ٣١٨/١ ، وقانون القضاة المدني ، دار الفكر العربي القاهرة : ٢٨٣/١ ، والقضاء والإثبات في الفقه الإسلامي ؛ والأنظمة الوضعية ، د/محمود محمد هاشم ، جامعة الملك سعود – الرياض : ص/٨١ .

(٩٤) المؤسسات الإدارية الخادمة للقضاء ، صلاح الدين الناهي ، مجلة المنهل .

(٩٥) بحث : الضوابط الشرعية لممارسة مهنة المحاماة ، د/عارف علي عارف ، قيد النشر.

ومن نقاط الاختلاف بينهما أيضا هو أن مجال المحاماة أوسع من مجال الوكالة بالخصومة ، لأن المحامي علاوة على توكيله عن الغير للادعاء بالحقوق والدفاع عنها ، فإنه يقوم أيضاً بتنظيم العقود والقيام بالإجراءات التي يستلزمها ذلك ، والمشاركة في وضع مشروعات النظم ؛ واللوائح والقوانين والطعن في الأحكام لتصحيحها ، ودفع مظالم السلطات العامة (٩٦) .

ولقد ظهرت دعوات من بعض المانعين لمهنة المحاماة بشكلها الحالي ، لإصلاحها وإزالة أسباب ترديها ، فمنهم من دعا إلى إلغاء مهنة المحاماة كعمل حر ، واقترح أن ينال المحامون روايتهم من الحكومة ، لأن أسباب الشنائع عند المحامين هي كون المحاماة مهنة ، ونادي بعضهم بأن يحل منصب الإفتاء محل المحاماة – كعمل حر – و يقطع للمفتين رواتب من الخزانة العامة (٩٧) ، ومنهم من نادى بتأميم مهنة المحاماة تأميماً كلياً مطلقاً ، بأن تدفع وزارة العدل رواتب شهرية للمحامين أسوة بالحكام والقضاة ، فإذا كان القاضي لا يتقاضى أجراً من المترافعين ، فما الذي يضر المحامي إذا تقاضي أجره من نقابته لا من موكله ؟ (٩٨) ، وكذلك تتوزع الدعاوى حسب الحروف الأبجدية على المحامين ، حتى لا يتعرض بعض المحامين إلى الحرمان ، لأجل ضمان العيش الكريم لكل محام تحت مظلة مؤسسة المحاماة نقابة المحامين ، ولإتاحة الفرصة أمام جميع المواطنين في توكيل من تختاره لهم النقابة ، وهذا أفضل من مجرد علاقة فردية قائمة بين الموكل والوكيل ،

(٩٦) المحاماة في الشريعة ، د/عبد الله رشوان ، مصدر سابق .

(٩٧) الإسلام في مواجهة التحديات ، أبو الأعلى المودودي ، دار القلم : ص/٥٥ ، والقانون الإسلامي وطرق تنفيذه للمؤلف نفسه ، مصدر سابق : ص/٧٤ .

(٩٨) المؤسسة العامة للمحاماة ، عامر سامي الدبوني (بغداد – مطبعة العاني ١٩٦٥م) : ص/١٩ و/٤٠ .

وأدعى إلى الثقة والاطمئنان في نفس الموكل ، لأن النقابة آنذاك تكون مسئولة مسئولية مباشرة عن الموكل ، فلا يستطيع آنذاك أن يستغل حاجة الموكل وخوفه وجهله ، ولكن الذي يخشى منه هو تردي مهنة المحاماة بعد تأميمها ، شأنها بقية المؤسسات التي تقوم بإدارتها الدولة ، فتهبط كفاءتها ، إذ أن في تأميمها إصلاحاً لها في جانب ، وإفساداً لها في جوانب أخرى ، لذلك فتنظيم مهنة المحاماة أولى من تأميمها أو إلغائها لحاجة الناس إليها في ظل تعقد الحياة وتعقد القوانين وتشعبها .

خاتمة البحث :

أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

١- أظهر هذا البحث أن نظام المحاماة كان معروفاً في تاريخ القضاء الإسلامي - وذلك بشكله البسيط ، لبساطة الحياة آنذاك - باسم وكلاء الخصومة ، أو وكلاء الدعاوى ، الذي كان مبنياً على أحكام الوكالة والنيابة في الفقه الإسلامي .

٢- لم يؤصل الفقهاء للدفاع و الوكالة بالخصومة كنظرية عامة كما هو الحال في التشريعات الحديثة ، لأن مجالس القضاء الإسلامي كانت علنية يحضرها أهل العلم والفقه والفتيا ، وكانوا يشكلون رقابة فقهية أمينة تساعد القاضي للقضاء بالعدل .

٣- يتفق نظام وكلاء الخصومة في الفقه الإسلامي مع نظام المحاماة في التشريعات الحديثة ، مع بعض أوجه الخلاف بين النظامين .

٤- المحاماة مهنة إنسانية نبيلة لصيانة الحقوق ولإقامة العدالة ، و هي عمل مشروع من منظور الإسلام ، ويدخل ضمن مبدأ الأمر بالمعروف ؛ والنهي عن المنكر ، وقضاء حوائج الناس .

٥- لا يضير هذه المهنة أن يكون بين المحامين من يسيئون إليها وإلى أنفسهم ، كما يقع في باقي المهن الأخرى ، ولا تبرر هذه الإساءات تحريم هذه المهنة ، لأن المحاماة تحتاج إلى تنظيم لا إلى تحريم .

والحمد لله أولاً وآخراً

الكفاءة .. كما يراها فقهاء الأمة

[٢/الأخيرة]

بقلم : فضيلة الأستاذ عتيق أحمد القاسمي
(تعريب : محمد سهيل اختر الندوي)

أمور شتى من خصال الكفاءة :

اشترط المالكة والشافعية في الكفاءة براءة الرجل من أمراض متعددة جسمية كالبرص و الجذام وغيرهما ، و لم يشترط الحنابلة البراءة منها ، ولكنهم يقولون لو تزوج الرجل المصاب بها امرأة بغير توقيف أوليائها عليها ؛ فلأوليائها حق التفريق بالقاضي .

[المفصل في أحكام المرأة : ٣٣٦/٦، الموسوعة الفقهية : ٢٧٩/٣، ٢٨٠]

وعد الحنفية الإسلام من خصال الكفاءة في العجم ، و يقولون : من أسلم بنفسه لا يكون كفؤا لمن له أبوان أو آباء في الإسلام ، ويقول الإمام أبو حنيفة ؛ والإمام محمد : من أسلم أبوه ليس كفؤا لمن له أبوان أو آباء في الإسلام ؛ و يقول الإمام أبو يوسف : من أسلم أبوه يكن كفؤا لمن له آباء في الإسلام ، والأئمة الآخرون لا يعتبرون الكفاءة بالإسلام .

[بدائع الصنائع : ٢٦٧/٢]

وبالجملة يعتبر الأئمة الأربعة من خصال الكفاءة ما يأتي :

يعتبر الإمام مالك من خصال الكفاءة :

١- الدين . ٢- السلامة من الأمراض الجسمية .

والإمام أبو حنيفة :

١- النسب ٢- الدين ٣- الإسلام ٤- الحرية ٥- المال .

إن الإمام أبا حنيفة لم يعد المهنة أو الصنعة من خصال الكفاءة ،

ولم يعدها صاحباه (أبو يوسف ؛ ومحمد) .

الإمام الشافعي :

١- الدين ٢- النسب ٣- المال ٤- السلامة من الأمراض الجسمية .

الإمام أحمد :

١- الدين ٢- النسب ٣- المال ٤- الحرية ٥- الحرفة .

هل الكفاءة بالنسب معتبرة أم لا :

ومن أهم خصال الكفاءة النسب ، قد اختلف في اعتباره الفقـــهاء ومضت مذاهبهم بهذا الصدد ، يرى جمهور الفقهاء أن النسب مـــن أهـــم خصال الكفاءة بينما ينكره بعضهم .

أدلة القائلين بالكفاءة بالنسب :

استدل المنكرون لها أساسياً بالآيات ؛ والأحاديث ؛ التي تحث الناس على الأخوة الإسلامية ؛ والمساواة الإنسانية ، وجعل فيها التقـــوى ميزانـــاً للفضيلة ، أذكر شيئاً منها فيما يأتي :

أ- : ﴿ إنما المؤمنون إخوة * فأصلحوا بين أخويكم ﴾ [الحجرات/١٠] .

ب : ﴿ يا أيها الناس ! إنا خلقناكم من ذكر وأنثى * وجعلنـــاكم شعوباً وقبائل * لتعارفوا * إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات/١٣] .

ج : ألا إن ربكم واحد ؛ وإن أباكم واحد ، ألا لا فضـــل لعـــربي على عجمي ؛ ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ؛ ولا لأســـود على أحمر إلا بالتقوى . [مسند أحمد ابن حنبل ٤١١/٥]

إن المنكرين للكفاءة بالنسب يؤسسون رأيهم علـــى أن الأفضليـــة بالنسب تنافي وجهة نظر الإسلام ؛ نحو الأخوة الإسلامية و وحدة النـــوع الإنساني .

وهم أيضاً يستدلون بالأحاديث التي تحث الناس على التزوج نظـراً

إلى دين المرأة و تقواها ، و تهددهم على رفض النكاح مع وجـــود صفـــة الديانة ؛ والأخلاق الحسنة فيها ، كمال قالُ ﷺ :

أ- تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها ؛ فاظفر بـــذات الدين ، تربت يداك . [الصحيح للبخاري : كتاب النكاح باب الإكفاء في الدين]

ب- إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه ؛ فزوجـــوه ، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض .

[الصحيح لمسلم : كتاب الرضاع باب استحباب نكاح ذات الدين]

وهم يستدلون بالوقائع التي وقعت في عصـــر النـــبي الكـــريم ﷺ والصحابة ﷺ ، وهي أن العجم تزوجوا بالعربيات ، وبعض نساء قريـــش زوجت في غير قريش ، و وقع بعض الزواج بإيعاز منه ﷺ و أمره ، كنكاح زيد بن حارثة مع زينب بنت جحش ، ونكاح بلال مع أنصاريـــة ، وأمـــا الأحاديث التي يستدل بها على اعتبار الكفاءة بالنسب ؛ فقام منكروها بتحليلـــها تحليلاً فنياً ؛ وانتقدوا عليها ، وسأذكر تلك الأحاديث في السطور الآتية .

أدلة القائلين بكفاءة النسب :

وأما الروايات التي يحتج بها القائلون بها ؛ فهي على ثلاثة أنواع :

١- الروايات التي تدل على اعتبار الكفاءة مطلقاً ؛ كما روى علي المرتضى ﷺ عن رسول الله ﷺ : يا علي ! ثلاث لا تؤخرها : الصـــلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت لها كفواً . [الجـــامع الصحيح للإمام الترمذي : باب ما جاء في من ترضون دينه فزوجوه ، أبواب الصلاة : باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل ، أخرجه الحاكم وصححه هو والذهبي كلامها ، المستدرك للحاكم ١٦٢/٢]

واستدلوا عليه بأنه حينما ثبت اعتبار الكفاءة شـــرعاً ، ولم يبـــين الشرع حقيقتها ، ولم يحدد حدودها ينظر إلى عرف الناس ، ومـــا يعـــد في العرف من خصال الكفاءة ، فهو في العرف منـــها ، وفي عـــرف العـــرب

للنسب مكانة أساسية ، يقول العلامة ابن الهمام في كتابه القيم فتح القدير:

"فإذا صبت اعتبار الكفاءة بما قدمناه فيمكن ثبوت تفصيلها أيضاً بالنظر إلى عرف الناس فيما يحقرونه ، ويعيرون به ، فليستانس بالحديث الضعيف في ذلك" [فتح القدير : ٤٣٠/٢] .

٢- الروايات التي وردت خاصة في النسب ، وإن هذه الروايات لو نظرنا إلى كل منها منفردة لم تبلغ درجة الصحيح والحسن ، ولكن حصلت لها القوة التي جعلتها تعتبر في باب الأحكام لروايته من عدة طرق ، ولأن جمهور الفقهاء اعتبروا الكفاءة بالنسب مستدلين بها، وهذه الروايات تلقت القبول .

من أهم الروايات التي وردت في هذا الباب :

"قريش بعضهم أكفاء لبعض ؛ بطن ببطن ، والعرب بعضهم أكفاء لبعض ؛ قبيلة بقبيلة ، والموالى بعضهم أكفاء لبعض رجل برجل" .

[جمع الفوائد : ٢١٨/١ ، فتح الباري : ١٣٣/٩ ، نصب الراية : ١٩٧/٣-١٩٨]

وإن هذا الحديث روى من عدة طرق بتغير يسير في الألفاظ ، ولكن الفقهاء والمحدثين تكلموا في كل سند من أسناده ، يقول العلامة ابن الهمام بعد ما تكلم في إسناده :

"وبعض طرقه كحديث بقية ليس من الضعف بذلك ، فقد كان شعبة معظماً لبقية ، وناهيك باحتياط شعبة ، وأيضاً تعدد طرق الحديث الضعيف يرفعه إلى الحسن" . [فتح القدير : ١٨٩/٢]

روى الشيخان الحديث التالي ، واستنبط منه المحدثون والفقهاء مسألة الكفاءة بالنسب .

"خير نساء ركبن الإبل ، صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في

صغره وأرعاه على زوج في ذات يده" [الصحيح للبخاري : كتاب النكاح ، باب إلى من ينكح وأي النساء خير ، الصحيح لمسلم : فضائل الصحابة باب من فضائل نساء قريش] .

وهم يعرضون أثر سلمان الفارسي ﷺ هذا في تأييدها :

"نفضلكم ؛ يا معشر العرب لتفضيل رسول الله ﷺ إياكم ، لا ننكح نساءكم ؛ ولا نؤمكم في الصلاة" [مصنف عبد الرزاق : ١٥٣/٦، إعلاء السنن : ٧٨/١١] .

وإن الإمام ابن تيمية حسنه ؛ واحتج به في هذا الباب .

[اقتضاء الصراط المستقيم ، ص: ٣٩٣-٣٩٤]

واعترض على أثر سلمان الفارسي أنه خالفه عملا ، وخطب بنات أبي بكر الصديق ؛ وعمر بن الخطاب ؛ فأجاب عنه القائلون بها بأن عمل سليمان الفارسي هذا لا يصادم قوله في الكفاءة ، لأن القائلين بالكفاءة النسبية يرون الكفاءة حقا للمرأة وأوليائها ، يسقطُ بإسقاطهم ، وعلاوة على ذلك لو كان رجل عجمي يتصف بصفة تجعله في العرف مساويا للعرب ؛ فهو كفؤ للعرب ، وقد جاء في فتح القدير والبزازية :

"العالم العجمي يكون كفوا للعربي الجاهل والعلوية ؛ لأن شرف العلم فوق شرف النسب" . [فتح القدير : ٣٩٨/٣٩٤]

٣- واستدلوا من الروايات الدالة على التفاضل في النسب ؛ والأسرة ، من أحاديث رسول الله ﷺ ؛ نذكرها فيما يأتي :

"الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيركم في الجاهلية خياركم في الإسلام" [الصحيح للبخاري : كتاب الأنبياء ، باب المناقب ، الصحيح لمسلم : كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش] .

"الأئمة من قريش" . [مسند أحمد ابن حنبل ١٢٩/٣، ١٨٣]

"قدموا قريشا ولا تقدموها" [مجمع الزوائد ٢٥/١٠، صحيح الجامع الصغير ١٣٦] .

"إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ؛ واصطفى من كنانة

قريشا" . [الجامع للترمذي : أبواب المناقب باب ما جاء في فضل النبي الكريم ﷺ]

وهـذه الروايات المذكورة تدل على شـرف بعـض الأنسـاب وفضلها ، ومن المعقول أن يراعي الإسلام في النكاح الكفاءة النسبية الـتي جبل الناس عليها .

الترجيح والمحاكمة :

وبعد ذكر أدلة الجانبين موجزا أريد أن أرجح وأحاكم بينهما .

والحق أن أدلة المنكرين للكفاءة في النسب هي أقوى وأصح مـن أدلة القائلين بها ، وإن تم استدلالهم بهذا الأدلة من القرآن والحديث ؛ فـلا تقبل أدلة القائلين بها ، ولكن أشعر بأن استدلالهم بهذه الأدلة لا يتم .

وأما مساواة الإسلام بين الناس ؛ فهي لا تعنى أنه لا يميز بين الرفيـع والدني ؛ وبين الجيد والرديئ ؛ كما يراه الإشتراكيون ، بل معناه أن سـائر الناس من حيث الإنسان سواسية ، ولهم حقوقهم ، ولا يجوز اغتصاب حـق أحد منهم بالحسب والنسب ؛ والنظر إليه تعصبا ، فـلا تخـالف مسـألة الكفاءة المساواة التي دعا إليها الإسلام ، إنه اعتـبر الكفـاءة النسـبية في النكاح ليستحكم النكاح ؛ ويتعايش الزوجان بـروح مـن الإنسـجام ؛ والفرح ؛ والسرور ، والمقرر أن سائر الناس ليسوا سواسـية مـن ناحيـة الفضل والشرف ، وقد جاءت فضائل العرب عامة ؛ وفضائل قريش خاصـة في أحاديث صحيحة عديـدة ، و إن القرآن ذكر الفضيلـة في العلـم ؛ و الفضيلة في الرزق ، حينما قال :

﴿ قل : هل يستوي الذين يعلمون * والذين لا يعلمون ﴾ [الزمر/٩] ويقول ﴿ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ﴾ [النحل/٧١] ، فلا يمكن أن يراد في حديث : "لا فضل لعربي على عجمي" ؛ نفي الفضيلة مطلقا ؛ بـل المراد فيه بالفضيلة فضيلة الآخرة ، ومقياس الفضيلة يوم القيامة هو التقوى .

ومعنى الروايات التي جاء فيها : "تنكح المرأة لأربع" ؛ و"إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه" أن يرجح جانب الديانة ؛ وحسـن الخلـق على غيره من الجوانب والمزايا ، إذا لم يتيسر الجمع بين هذه المزايا ، وليـس معناه أن هذه الأوصاف لا تليق بالاهتمام والاعتناء بها ، لـولاه لمـا أكـد الرسول الكريم ﷺ بالنظر إلى المخطوبة ؛ ولما قال لفاطمة بنت قيس حينمـا استشارته بعد ذكر خطبة معاوية إياها : أما معاوية فصعلوك لا مال له" .

ولا يصح الاستدلال بنكاح القرشية مع غير القرشـي ؛ ونكـاح العربية بالعجمي في عصر الصحابة ؛ لأن الكفاءة حق للمرأة ؛ وأوليائـها لبعض المصالح ، وإذا أسقط المستحق حقه ؛ فلا يحـق لأحـد أن يعـترض عليه ، وهذه الوقائع نماذج إسقاط الحق .

ولا يوجد أي واقعة لنكاح زوجت فيها المرأة كرها بغـير رضـى الأولياء ، ولا شك أنه واقع الاستنكاف في بعض الأحداث ، ولكنـه زال بعد ما أمر النبي الكريم ﷺ ، ورضى الفريقان بالنكاح كليا ، لعل رسـول الله ﷺ أراد به أن يعلم أمته أن هذه الكفاءة ليست بلازمة في كل حـال ، بل الأليق تركها في بعض الأحيان نظرا إلى بعض المصالح الكبرى .

كفاءة النسب في العجم :

لا توجد في الفقه الحنفي تصريحات بصدد اعتبار الكفاءة بالنسـب بل توجد تصريحات مضادة لاعتبار الكفاءة بالنسب في الأعاجم ، نعم توجد تصريحات بصدد اعتبارها في الفقه الشافعي ، وأما تصريح الفقهاء بعلة عـدم اعتبار الكفاءة بالنسب في الأعاجم ؛ فهي أن العرب اهتمـوا بصيانتـه ؛ والأعاجم لم يهتموا بصيانته ، والعرب يتفاخرون به ؛ والعجم لا يتفـاخرون به ، ولهذا قال حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي :

"وأما ما صرح الفقهاء بعدم اعتبار الكفاءة في العجم فـهو مقيـد

بالعرف ،فإذا كان معتبرا في العرف اعتبر وإلا فلا عبرة به" .

[إمدادا الفتاوى : ٣٥٦/٢]

أمور هامة :

وأما ما مضى من تفصيل الكفاءة فيتضح به أن الكفـــاءة معتـــبرة شرعا بالأحاديث الصحيحة المعتبرة ، تدل على بعض خصالهـــا أحـــاديث الرسول ؛ وآثار الصحابة ، كالديانة والنسب ، وبعـــض خصالهـــا ثبتـــت بالعرف والعادة ؛ كالحرفة والإسلام ، وللأوضاع الاجتماعية ؛ والأعـــراف السائدة أثر كبير في تعيين خصال الكفاءة و شرحها ، فلهذا ينبغي أن يراعى الوضع الاجتماعي ، و الأعراف في تحديد خصال الكفاءة في كـــل عصـــر ومصر ، فالخصال التي تأسست على أعراف الناس ينبغي أن يراعـــي فيـــها تغير الأعراف والأحوال ، مثلا : إن الحرفة لم تبق سببا كوجه للشـــرف في الممالك الغربية ؛ وبلاد الهند الكبرى ، ولا يتصور عار في أي حرفة تجلـــب نفعا ؛ فلهذا لا يليق أن تعد الحرفة في هـــذه البلاد من خصال الكفـــاءة ، وإذا اعتبرت أمور أخرى في خصالها لابد من أن تراعى فيها .

ولا يمكن أن توضع أصول معينة لخصال الكفاءة لسائر العالم بـــل توضع لكل بلد على حدة وفق أوضاعه وأعرافه ، ويجب على كل فقيـــه أن يشاهد أوضاع بلده الاجتماعية وأعرافه ، ثم يعين خصال الكفاءة .

قضية المسلمين الداخلين في الإسلام :

أما الكفاءة في الإسلام ؛ فهي معتبرة عند الحنفية فقط ، ولم يعـــده غيرهم من خصالها ، بل اعترضوا عليه اعتراضا شديدا ، وليس لـــه أصـــل شرعي في القرآن والحديث ؛ بل مبدؤها هو العرف ، ولهذا إن كانت هـــذه المسألة مانعة للمشركين من دخولهم في الإسلام ، وتولـــد لهـــم مشـــاكل اجتماعية ؛ فيناسب أن نختار فيها مسلك الأئمة الآخرين دفعا للحرج .

ومن المناسب أن توجد في المسلمين فكرة لإعطاء المسلمين الجدد في مجتمعهم مكانا مرموقا ، والاهتمام بأمورهم واحترامهم وحل مشـــاكلهم ، وليست الكفاءة في النكاح من حقوق الشرع التي لا يمكن إسقاطها ، بـــل هي على الأكثر حق للمرأة والولي فقط ، فلو أسقطا حقهما في الكفـــاءة ؛ وقررا النكاح مع المسلم الجديد قصد إلحاقه بالمجتمع الإسلامي ؛ وقصد حل معضلاته ، يستحقان عند الله أجرا عظيمـــا ، وإن الداخلـــين في الإســـلام مستحقون للنصر ؛ والتعاون بكل صورة ممكنة .

الإفراط والتفريط :

و في العصر الراهن قد نشأ الإفراط والتفريط كثيرا ، ومعظم الناس يزوجون بغير كفؤ معرضين عن خصال الكفاءة سوى المال ، و لهذا كثـــير من الزواج يفشل ؛ وتزيد حوادث الطلاق ، ويذهب الأمن والهدوء مـــن الحياة العائلية ، و بعـــض الناس يشتدون في أمر الكفاءة أكثر مما أن ينبغـــي يشتد فيه ، ويعتقدون الزواج في غير الأسرة جريمة لا تغتفر ، وإذا رضيـــت المرأة ووليها بالتزوج في غير الأسرة ؛ فيحول أفراد آخرون من الأســـرة ، ويمنعونهما كرها من التزوج في غير أسرتهما ، وإن هذا من الجاهلية العميـــاء فقط لا صلة له بالإسلام ومجتمعه ، وفقنا الله جميعا لامتثال أوامره ؛ والعمـــل بتعاليمه القيمة .

* * *

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

* * *

الاقتصاد الإسلامي:

أصول المعاش الإسلامي
في ضوء الكتاب والسنة

[٦/الأخيرة]

بقلم : الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي
(محاضر بدار العلوم الإسلامية بمئنى - الهند)

٢٤- الأمانة :

الأمانة كلمة جامعة للدين كله ، و تطلق الأمانة في الأعراف العامة في الأموال ، وضدها الخيانة ، ومعلوم أن الأمانة توطد ثقة الناس واعتمادهم فيما بينهم ، وهذه ميزة تمس الحاجة إليها في مجال الاقتصاد والمعاش في كل مرحلة ، ويندرج فيها الصدق والعدل ، قال رسول الله ﷺ : البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما [متفق عليه] ، وقال : الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة [متفق عليه] ، وقال ﷺ من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ؛ ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله . [رواه البخاري]

والتأدية والإتلاف من الله ينوطان بالدنيا والآخرة كلتيهما .

٢٥- الصدقات :

إن الله يضاعف أجور الصدقات في سبيله ، والصدقات لمن أهم موجبات سعة الرزق ورخائه ، قال تعالى : ﴿ يمحق الله الربا * ويربي الصدقات ﴾ [البقرة/٢٧٦] ، وقال : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله * كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة * والله يضاعف لمن يشاء * والله واسع عليم ﴾ [البقرة/٢٦١] ، وقال ﷺ : من أنفق نفقة في سبيل الله تضاعف بسبع مائة ضعف [مسند الإمام أحمد] ، وقال تعالى :

﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ [البقرة/٢٤٥] ، وهذا الأجر ينوط بالآخرة ، أما في الدنيا فهو يتضح من حديث آخر ، قال ﷺ : ما نقصت صدقة من مال ؛ وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً ؛ وما تواضع أحد لله رفعه الله [صحيح مسلم] .

وعدم نقص الصدقة يعني ازدياد بركة المال ؛ وصيانته من الآفات والبلايا ؛ وتلافي النقص الظاهر بالبركة الباطنة ، وربما يعطي الله جلّ وعلا بدل الصدقة ما يزيد في المال ، قال تعالى : ﴿ و ما أنفقتم من شئ * فهو يخلفه ﴾ [السبأ/٣٩] .

وهذا إن كان يرى تأثيراً معكوساً – أي تأثير إنفاق المال في صورة زيادة المال – ولكنه حقيقة ملموسة تدل عليها قصص أصحاب الرسول الكريم ﷺ وأتباعهم .

و لا يغربن عن بالنا أن رحمة الله جلّ وعلا وسعت عباده من كل ناحية ، ولا يمكن أن يدرك كنهها عقل البشر وفهمهم .

٢٥- الصبر والشكر :

إن الشكر على النعم يزيدها ويضاعفها حسب التصريح الرباني : ﴿ وإذ تأذن ربكم * لئن شكرتم * لأزيدنكم * ولئن كفرتم * إن عذابي لشديد ﴾ [ابراهيم/٨] ، وقال تعالى : ﴿ فابتغوا عند الله الرزق * واعبدوه واشكروا له ﴾ [العنكبوت/١٧] ، وكذا الصبر يزيد بركة الأموال والنعم ، وهذا ما يصرح به عديد من آيات القرآن والأحاديث النبوية ؛ لا نذكرها حذراً من إطالة الكلام

٢٦- النكاح :

قال الله تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم * والصالحين من عبادكم وإمائكم * إن يكونوا فقراء يغنهم الله في فضله * والله واسع عليم ﴾ [النور/٣٢] ، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : أطيعوا الله فيما أمركم به

من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى ، قال الله تعالى : ﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ ، وعن ابن مسعود ﷺ التمسوا الغنى في النكاح . [تفسير ابن كثير : ج/٥ ، ص : ٩٥]

والمراد بالغنى أن تنقضي الحوائج ولا يضطر الإنسان إلى مدّ يد السؤال .

٢٧- الدعوة والجهاد في سبيل الله :

قال رسول الله ﷺ : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة [متفق عليه]؛ فاتضح أن الجهاد والدعوة يزيدان العبد الداعي والمجاهد رخاءً مادياً مع الرقى الروحي الإيماني ، وهذا ما يدل عليه عموم قوله تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم * ويثبت أقدامكم ﴾ [محمد/٧] .

٢٨- التجنب عن الكفر والشرك والظلم والعصيان والطغيان :

إن الكفر والشرك ؛ والظلم والعصيان ؛ كله من أسباب الضيق والضنك في المعيشة الدنيوية أيضاً مع الخسران الأخروي ، وهذا ما تصرح به نصوص الكتاب والسنة .

قال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة * يأتيها رزقها رغداً من كل مكان * فكفرت بأنعم الله * فأذاقها الله لباس الجوع والخوف * بما كانوا يصنعون [النحل/١١٢] .

فانظروا أن كفران النعم الإلهية يؤدي الى سلب النعم و إذاقة الكافر الجوع والخوف وسوء العذاب ، وقال تعالى عن اليهود : ﴿ ضربت عليهم الذلة والمسكنة * وباءوا بغضب من الله ﴾ [البقرة/٦١]، ويندرج الفقر والاحتياج في المسكنة ، وهناك عدة آيات وأحاديث تدل على ذلك (١)

(١) انظروا سورة الكهف/٣٢ إلى/٤٤ ، وسورة سبأ قصة سبأ ، وسورة القصص/٧٢ إلى/٨٢ .

وقصص الأقوام السالفة من عاد وثمود وآل فرعون خير دليل على ذلك ، وقال الله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مُغيّراً نعمةً أنعمها على قوم * حتى يُغيّروا ما بأنفسهم ﴾ [الأنفال/٥٣] .

٢٩- التجنب عن الاحتكار :

الاحتكار هو حجز سلعة من السلع أو جمعها من الأسواق ؛ وبيعها بسعر أعلى على المسلمين ، وفرض السعر المرتفع ، وهو ظلم ماحق ؛ وعمل بائق ؛ وفعل دنيئ ؛ ومقصد وبيئ ، يراد به إيقاع الضرر بالبشر ، ولقد نهى عن ذلك رسول الله ﷺ ، وجاءت عدة أحاديث ، منها : الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله ، والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله [رواه الحاكم] ، منها : لا يحتكر إلا خاطئ [مسلم]، ومنها : من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين ؛ فهو خاطئ [مسند أحمد] ، ومنها : من احتكر طعاماً أربعين يوماً ؛ فقد برئ من الله ؛ وبرئ الله منه [مسند الإمام أحمد] ، ومنها : الجالب مرزوق ؛ والمحتكر ملعون [ابن ماجة] ، ومنها : من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس .

والحكمة في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن الناس .

٣٠- العمل :

الإسلام دين العمل المتواصل والجهد المنتج ، وقد عمل رسول الله ﷺ بيده فرعى الغنم ؛ وجمع الحطب ؛ وسافر ؛ واتّجر ؛ وذهب وعاد ، وذلك لأن العمل لمن أهم دعامات الإنتاج في المجتمع ، وقد جاءت في النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة أحكام شاملة للعمل ومدى أهميته في المجتمع ، و واجبات العمّال ومسئولياتهم .

ومعلوم أن دوافع العمل – مع اجتماعها في التشبّث بالبقاء – تتفرع إلى الأسباب التي لا يكون البقاء بدونها ، وأسباب البقاء ؛ هي وجود الإنسان طعامه وشرابه ؛ وكساءه ومأواه .

أما المبادئ العامة لفكرة العمل في الإسلام ؛ فهي كما يلي :

١- العمل يلبس الإنسان لباس الكرامة والشرف ؛ كما قال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممنْ دعا إلى الله * وعمل صالحاً ﴾ [حم السجدة/٣٣] ، وقال رسول الله : ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داؤد كان يأكل من عمل يده [صحيح البخاري] .

٢- العمل واجب وعبادة ؛ فكل من يقدر على العمل ؛ فهو مطالب في الإسلام بالسعي والعمل ، قال عمر بن الخطاب : إني لأرى الرجل ؛ فيعجبني ؛ فأقول : أله حرفة أي عمل ؟ فإن قالوا : لا سقط من عيني ، وهذا ما يتجلى من أمر الصلاة في الإسلام ، فهي عمل حركي من وضوء إلى قيام ؛ ثم ركوع وسجود .

٣- حرية العمل ؛ و هي الانطلاق في السعي المشروع للعمل يدوياً أم ذهنياً ، فكل عمل يوصل الإنسان إلى غاية نافعة غير مضرة لأحد ؛ هو حل مباح .

٤- بذل المحاولات في العمل ؛ كما قال تعالى : ﴿ ولتسألنّ عمّا كنتم تعملون ﴾ [النحل/٩٣] .

٥- وقت العمل ؛ كما قال رسول الله : إن لجسدك عليك حقا ؛ وإن لعينك عليك حقا ؛ وإن لزوجك عليك حقا ؛ وإن لزورك عليك حقا [متفق عليه] ؛ فاتضح أن للعامل حقه في القيام بواجباته تجاه كل جانب ، وأداء العبادات والراحة .

٦- حق المرأة في العمل : لا تعمل النساء في الإسلام إلا إذا اقتضت حاجة شديدة ، وهذا يتضح من تكليف سيدنا آدم وحده بالعمل بعد خروجه وحواء من الجنة ، قال تعالى : ﴿ فقلنا : يا آدم ! إن هذا عدو لك ولزوجك * فلا يخرجنكما من الجنة * فتشقى * إن الله ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأ فيها * ولا تضحى ﴾ [سورة طه] .

وموجز القول أن الإسلام رفع قدر العمل إلى مصاف العبادات ، قال تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا * فامشوا في مناكبها * وكلوا من رزقه * وإليه النشور ﴾ [الملك/١٥] ، وقال رسول الله : ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا ؛ فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة [صحيح البخاري] .

فالإسلام اعتبر العمل هو الوسيلة الأصلية للتملك ، وأن لا عمل من غير أجر ، وأن الأجر على قدر العمل ، وأن أفضل الكسب كسب الرجل من عمل يده ، والأنبياء قد مارسوا العمل في حياتهم ، فاحترف آدم االزراعة ، ونوح التجارة ، وداؤد الحدادة ، وإدريس الحياكة ، و سليمان عمل الخوص ، و محمد النبي الحبيب رعى الغنم ؛ وعمل التجارة .

نهاية المطاف :

ولنعلم أن طرق كسب المال معينة تتلخص في العمل ؛ والميراث ؛ والوصية ؛ والقرض ؛ والهبة ؛ والعارية ؛ والصيد ؛ وإحياء الموات ؛ وإعطاء الدولة أموالها للرعية .

ومناط التشريع الإسلامي في مجال الاقتصاد هو المصلحة ، وأن تحقق المصلحة يختلف باختلاف الزمان والمكان ، وتقوم السياسة الاقتصادية في الإسلام على أساس الموازنة ؛ والتوفيق والملائمة بين مصالح الفرد ؛ ومصالح الجماعة ، وللاقتصاد الإسلامي دعامتان : دعامة المال ؛ ودعامة العمل والتقوى ، فيجب أن يقوم المسلمون بكسبهم ومعاشهم في ضوء هاتين الدعامتين .

وفي الأخير يجب أن نركز عنايات القراء الكرام إلى نكتة مهمة : وهي أن المؤمن يجب عليه أن يعتقد دائما أنه لا يجد اللذة الباقية الدائمة ؛ والسكينة المرضية إلا في دار الآخرة ، في جنة ربه ونعيمه ، فإن هذه الدنيا

لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، كما ورد في الحديث : لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء [جامع الترمذي] ، وقال تعالى : ﴿ ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا * لمن يكفر بالرحمن * لبيوتهم سقفا من فضة * و معارج عليها يظهرون * و لبيوتهم أبوابا * وسررا عليها يتكئون وزخرفا * وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ [الزخرف/٣٣-٣٥] ، وقال : ﴿ قل : متاع الدنيا قليل * والآخرة خير لمن اتقى * ولا تظلمون فتيلا ﴾ [النساء/٧٧] .

فيجب أن يكون الهم الأساسي لدى العبد المسلم ؛ هو الإقبال بكنه الهمة إلى الله جل وعلا ؛ ونجاح الآخرة ، نعم : لا بأس عليه أن يصلح أوده الاقتصادي حسبما احتاج ، وما ازداد لديه من قدر الحاجة ؛ فينفقه على البؤساء والفقراء والمحتاجين .

ولو رأى الكفار ينعمون في الحياة الدنيا ، ويملكون أموالا طائلة ؛ وثروات هائلة ؛ ويعتزون بزخارف الدنيا وبهجتها ؛ ورونقها وزينتها ، لأمعن نظره إذن في الآية الكريمة : ﴿ ومن كفر فأمتعه قليلا * ثم أضطره إلى عذاب النار * وبئس المصير ﴾ [البقرة/١٢٦] ، وفي الحديث النبوي : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، واستيقن أن توفر الوسائل المادية للكفار في الدنيا ليس إلا استدراجا وإملاء وإمهالا لهم من قبل ربهم ، وأنهم سوف يسألون عند ربهم ، ويحاسبون حسابا شديدا ؛ ويعذبون عذابا نكرا .

وعلينا نحن المسلمين أن نؤمن بالله حق الإيمان ؛ ونتمسك بالكتاب والسنة ؛ ونعتصم بحبل الله المتين ، ونحتذى الشرع الإسلامي حذو النعل بالنعل ؛ ونصبغ أنفسنا وحياتنا – من على رؤوسنا إلى أخمص أقدامنا – في صبغة الإسلام ، و نتعوذ بالله كل حين وآن من الغنى المطغى ؛ و الفقر المدقع ، ونسأل الوسطية ؛ والإتران في كل شئ ، وليكن هذا الدعاء القرآني النبوي الجامع شعارنا : ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة * وفي الآخرة حسنة * وقنا عذاب النار ﴾ .

وسائل الإعلام الحديثة
وإمكانية الاستفادة منها في الدعوة إلى الله

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

الفصل الأول : الدعوة إلى الله :

المبحث الأول : تعريف الدعوة :

لغة : الدعوة بفتح الدال اسم مرة من الدعاء ، وهو مصدر : دعا ؛ يدعو ، تقول : دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت إليه بالسؤال ؛ ورغبت عنده من الخير ، ودعوت زيدا ناديته ؛ وطلبت إقباله ؛ ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة ؛ فهو داعي الله ، و النبي داعي الخلق إلى التوحيد (١) ، و منه قوله تعالى عن النبي الكريم ﷺ : ﴿ و داعيا إلى الله * و سراجا منيرا ﴾ (٢) ، "أي يدعو عباد الله إلى التوحيد ؛ والإيمان بما جاء به (٣) ، ويقال داعية اللبن بمعنى : بقيته التي تدعو سائره (٤) .

فالدعوة في مدلولها اللغوي تدل على الطلب ؛ والنداء ؛ والحث ؛ واللفظ أعم من أن يكون للخير أو الشر ، فإنه يستخدم فيهما ؛ و يدل عليه قوله تعالى : ﴿ ويا قوم ! ما لي أدعوكم إلى النجاة * وتدعونني إلى النار ﴾ (٥) ، ويتحدد المعنى بالسابق واللاحق .

(١) المصباح المنير للفيومي ، القاموس المحيط للفيروزآبادي .
(٢) سورة الأحزاب/٤٦ .
(٣) فتح القدير للشوكاني في تفسير الآية .
(٤) القاموس المحيط للفيروزآبادي .
(٥) سورة غافر/٤١ .

اصطلاحاً : قد عرّف العلماء المعاصرون الدعوة إلى الله بعدة تعريفات (٦) ، والأنسب منها يقول : "إن الدعوة هي قيام من عنده أهلية النصح ؛ و التوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً ؛ وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة (٧) .

ولكن ليكون التعريف أكثر وضوحاً ودلالةً ينبغي أن نتصرف فيه تصرفاً يسيراً ، فبدل : "بطرق مخصوصة" ، نقول بأساليب و وسائل خاصة تتناسب مع المدعووين على مختلف أصنافهم وعصورهم" ، كما قال الشيخ محمد أمين حسن في تعريفه الدعوة إلى الله (٨) ، فالوسائل المناسبة ؛ وخاصة الوسائل الحديثة منها من أهم مقومات الدعوة ؛ وأسرعها إقناعاً وتأثيراً في عقول الناس في عصرنا الحاضر ، كما سنستعرضها ونتحدث عنها في الفصول القادمة بإذن الله تعالى .

بل ، إذا وضعنا الوسائل في الاعتبار ، فهناك تعريف أراه أدق ؛ و أشمل ؛ و إن كان مختصراً ، و صاحبه الشيخ محمد موفق الغلاييني ؛ فيقول (٩) : (الدعوة) تعنى بذل جميع الجهود المشروعة لإيصال الإسلام للناس ، و إقناعهم به بالحكمة و الموعظة الحسنة ، كما قال تعالى : ﴿ أدع

(٦) راجع للاطلاع عليها : الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ؛ للدكتور محمد بن سيدي بن الحبيب : ص/٢٦-٢٧ ، ط/٢ ، الناشر : عبد الله الشنقيطي .

(٧) الدعوة إلى الله خصائصها ومناهجها ؛ للدكتور أبو المجد السيد نوفل : ص/١٨ ، نقلاً عن المصدر السابق : ص/٢٧ .

(٨) خصائص الدعوة الإسلامية : ص/١٧ في بحث الدكتور عبد الحق حميش – جامعة الشارقة ، بعنوان : "توظيف الإنترنت في الدعوة إلى الله" : ص/٥ ، والذي قدّمه في ندوة : "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة" المنعقدة في جامعة الشارقة في شهر محرم ١٤٢٢هـ/أبريل ٢٠٠١م .

(٩) في كتابه : وسائل الإسلام وأثرها في وحدة الأمة : ص/٤٤ ، دار المنارة – جدة ، ط/١، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

إلى سبيل ربك بالحكمة * و الموعظة الحسنة * و جادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (١٠) ، فقوله : "جميع الجهود المشروعة" يشمل كافة الوسائل الإعلامية التي يمكن استخدامها للدعوة إلى الله ، بالإضافة إلى إفادته ، أن كل مسلم مكلف بالدعوة ، بقدر استطاعته واستعداداته .

المبحث الثاني : حاجة البشرية إلى الدعوة :

يقول ابن القيم رحمه الله : "حاجة الناس إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى التنفس فضلا عن الطعام والشراب ، لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس : موت البدن ، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة : فساد الروح والقلب جملة ، وهلاك الأبد ، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت "(١١).

غاية بعثة الأنبياء والرسل :

ونظرا لحاجة الإنسان الأكيدة إلى الشريعة الإلهية والرسالة السماوية لم تخل أمة من الأمم في غابر الأزمان على وجه البسيطة ، إلا وقد من الله تعالى عليها بنبي أو رسول بدءا من آدم عليه الصلاة والسلام ، إلى أن ختمت هذه السلسة الذهبية بإمامهم و سيدهم محمد ﷺ ، لقول الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا * أن اعبدوا الله * واجتنبوا الطاغوت ﴾ (١٢) ، فدعوة الرسل عليهم السلام تنقذ الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، ومن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق ، وتهديهم إلى التمسك بمبادئ الشرع ، وتنهاهم عما ينكره ، ليفوزوا بسعادة الدارين ؛ إذا حققوا طاعة الله عقيدة وعملا وسلوكا ، قال الله تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور * وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام * و يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه * ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (١٣) .

(١٠) سورة النحل/١٢٥ .

(١١) مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية : ص/٣٢٨ نقلا عن بحث الدكتور عبد الحق حميش ؛ بعنوان : "توظيف الإنترنت في الدعوة إلى الله" المشار إليه سابقا : ص/١٠.

(١٢) سورة النحل/٣٦ . (١٣) سورة المائدة/١٦ .

حاجة الدعوة في الزمن الحاضر :

ولم يزل الناس محتاجين إلى الدعوة قديما وحديثا ، ولا سيما في عصرنا الذي شاع فيه الكفر والإلحاد ؛ والشرك بالله سبحانه وتعالى ، وأصبح الإنسان محاطا من كل جانب بتيارات متنوعة من الأفكار الضالة ؛ والعقائد الباطلة ، وانتشر الفسق والفجور ؛ والابتذال والإباحية في أقطار المعمورة ، وعم الضلال والفساد في بلاد المسلمين ؛ بحيث صار فيه المنكر معروفا ؛ والمعروف منكرا ، فالحاجة إلى الدعوة الآن لا تقل أهمية عن الحاجة إليها زمن بعثة زمن بعثة الرسول الكريم ﷺ .

أحوال العالم قبل بعثة النبي الكريم ﷺ :

فالعالم قبل بعثة نبينا محمد ﷺ ؛ ولا يخفي ذلك على المتتبعين لأحوال العالم الإنساني كان يعاني فراغا روحيا كبيرا تسبب عنه فساد عام شمل كل جوانب الحياة ، سواء كانت سياسية ؛ أو دينية ؛ أو اجتماعية ؛ أو خلقية ، وكان الناس دولا وشعوبا ؛ وقبائل في حروب دامية ، تعمهم الفوضى والاضطراب ، ويعبدون الأحجار ؛ والأصنام ؛ والأشجار ؛ والكواكب ، وما أوجدوا بأنفسهم من آلهة متعددة ، ويرتكبون سائر أنواع الجور ؛ والظلم ؛ والعدوان ، ويقترفون كل ما يحلو لهم من المعاصي ؛ والفواحش ؛ والمنكرات ، ويشربون الخمور ، ويلعبون القمار والميسر ، ويستقسمون بالأزلام ، ويرثون النساء كالمتاع ، وبالتالي لم يعد للإنسان قيمة ، و للحياة اعتبار ، و أما النصيب الأوفر من هذا الفساد السائد ، فكان من نصيب جزيرة العرب ؛ وما حولها من الدولتين العظيمتين الرومية والفارسية ؛ مما أوصلها إلى حافة الهوة السحيقة من الهلاك والدمار .

نور الإسلام يشرق :

وقد جاء الإسلام الحنيف ، فجعل من العرب الممزقين المتباغضين الآثمين الضعفاء ، أمة متحابة ، متماسكة ، قوية الجانب ، عميقة الإيمان

بالله و وحدانيته ، وثيقة الصلة بالعمل الصالح ؛ والخلق الفاضل ، وامتن الله عليهم بقوله : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم * إذ كنتم أعداء * فألف بين قلوبكم * فأصبحتم بنعمته إخوانا * وكنتم على شفا حفرة من النار * فأنقذكم منها * كذلك يبين الله لكم آياته * لعلكم تهتدون ﴾ (١٤) ، فانطلقت بدعوة الإسلام شرقا وغربا ، لتصلح العالم في عقيدته ؛ وفي سياسته ، وفي اجتماعه ، و في أخلاقه ، ورفعت راية التوحيد ؛ وقضت على الوثنية والشرك ، ونشرت الحق والعدل ، وأعادت إلى المجتمع الإنساني وقاره ، وإلى الإنسان كرامته ، وما ذلك إلا بفضل الدعوة الإسلامية ؛ وإخلاص الدعاة في سبيل الله تعالى .

مقارنة الأحوال :

وإذا قمنا بالمقارنة بين أحوال العالم قبل دعوة الإسلام وبين أحواله اليوم في عالمنا الذي نعيش فيه ، لوجدنا أن الجاهلية الأولى قد عادت إلينا ، بل أصبح الأمر أشد وأنكى ، إذ يستخدم كل ما استحدث من وسائل ؛ وأسباب لمحاربة الله وعصيانه ، وهدم القيم والمبادئ ؛ وبث المعتقدات الباطلة ؛ والآراء الزائفة ، وترويج الرذائل والقبائح ، وتعميم الأخلاق المائعة ؛ والعادات الغريبة ؛ مما يؤكد ويحتم الدعوة إلى الله ، ويبين شدة حاجة الناس إليها ، فلا يمكن إصلاح الفساد إلا عن طريقها ، مثلما قامت بالإصلاح عندما دعا بها نبينا محمد المصطفى ﷺ ؛ و الرعيل الأول من المسلمين من بعده .

أصناف المدعووين وبما يدعون :

وبما أن الدعوة تتوجه إلى أي إنسان مكلف ، مخاطب بالإسلام ، وهو كل عاقل بالغ ، مهما كان جنسه ؛ ونوعه ؛ ولونه ؛ وإقليمه لعموم

(١٤) سورة آل عمران/١٠٣ .

الرسالة ، حيث قال الله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ (١٥) ، فيقسم أولا هؤلاء المدعوون إلى قسمين رئيسين : كفار ؛ ومسلمين ، ثم يقسم الكفار إلى أصناف ثلاثة : شيوعيين ؛ وملحدين ، وأهل كتاب ، و وثنيين .

وكل صنف من الأصناف الكافرة ، توجه إليهم الدعوة ؛ ويخاطبون بما يخاطب به الآخرون ، بحيث تعالج تلك المشاكل والشبهات التي تحول دون فهم دين الإسلام على وجهه الصحيح بالحكمة والموعظة الحسنة ، لأن الكافر إنسان مريض قلبه لبعده عن الإسلام ، ولا يحس بمرضه ويشعر به ؛ كما هو حال جميع مرضى القلوب ، فلابد من أخبارهم بمرضهم ، و وصف العلاج لهم (١٦)، ويحتاج جميع الكفار بغض النظر من أصنافهم ، إلى بيان محاسن الإسلام لهم من سماحته ؛ ومساواته للناس في الحقوق ، وما فيه من الحرية الحقيقية ، وما فيه من اللين والتيسير ، وأنه دين الفطرة ، وهو المنهج الكامل الشامل لجميع شئون الحياة ، الصالح لكل زمان ومكان ، وهو الدستور القويم الذي يحقق للإنسان الحياة الكريمة في هذه الحياة الدنيا ، والسعاة الأبدية في الحياة الأخروية .

أما المسلمون فحاجتهم إلى الدعوة آكد وأشد من حاجة غيرهم ليعودوا إلى الإسلام عودة حقيقية ، إذ نراهم في أسوأ حال ، قد افترقوا إلى طوائف شتى متباينة ، وفرق عدة متنافرة ، تتوزعهم الاتجاهات المتضاربة والعقائد المتصادمة ، وتغلب فيهم الأحوال المخالفة ؛ والأعمال المضادة للشريعة السمحة ، وتستبد بهم الأهواء المردية ؛ والشهوات المهلكة ،

(١٥) سورة سبأ/٢٨ .

(١٦) راجع للتفصيل : أصول الدين للدكتور عبد الكريم زيدان : ص/٣٦٠ ، مكتبة المنار الإسلامية ، طبعة سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، والدعوة إلى الله للدكتور محمد بن سيدي بن الحبيب : ص/٥٦-٥٨ .

وتتحكم فيهم الأخلاق المستوردة ؛ والعادات المستهجنة ؛ وذلك أن الغالبية من المسلمين جهلاء بالدين ، لا يعرفون منه إلا اسمه ؛ ولا يفهمون فيه إلا قشره ، ومن يسمى الطبقة المثقفة منهم ، فإذا علموا شيئا ؛ فعن غير الإسلام ، وإذا اتبعوا شيئا ؛ فهو ما يأتي به أعداء الإسلام من المستعمرين ، فهذا حالهم وما وصلوا إليه من الجهل والضلال ، وبما أن ضلالهم وجهلهم يختلفان من شخص إلى آخر ، ومن جماعة إلى أخرى ؛ فهم متفاوتون في مخالفة أوامر الشرع ، وارتكاب نواهيه ، فمنهم المكثر من المعاصي ، ومنهم المقل ، ومنهم بين ذلك على درجات كثيرة جدا ، ومتنوعة جدا ، لا يحصيها إلا الله ؛ ولكنهم جميعا مندرجون تحت صنف واحد ، وهو صنف العصاة .

وهناك البقية المتمسكة بدينها الحنيف ، وبمبادئه القيمة ، وأخلاقه السامية ، بيد أنه يخاف عليها ؛ وهي محاطة بهذه الأجواء الداكنة ؛ فتحتاج هي وغيرها احتياجا ملحا إلى الدعوة ، لكي يرجع الجميع إلى دينهم الحنيف ، يلتزمون بشرعه ، ويهتدون بهديه ؛ فيعود إليهم مجدهم التليد ، وعزهم المفقود ، وشرفهم المسلوب .

خلاصة القول :

والحاصل أن العالم الغارق في الحياة المادية ، المليئة بالكفر والشرك ، والشهوات والمعاصي ، والضلال والشقاء ؛ لا يمكن أن تستقر وتستريح إلا بالدعوة إلى دين الله الحق لقوله تعالى : ﴿ و من يتبع غير الإسلام دينا * فلن يقبل منه * وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (١٧) .

[يتبع]

(١٧) سورة آل عمران/٨٥ .

التعريب بين النظرية والتطبيق

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(اكاديمي – خبير دولي – عضو اتحاد الكتاب)

من المقرر أن التعريب ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات ، وتأثير بعضها في بعض ، ووجوده في اللغة العربية ، صورة لظاهرة عامة في كل اللغات ؛ فهي جميعا تستورد الدخيل بحسب حاجتها ، ويسترب إليها على الرغم منها ؛ إذ لا يكاد يعقل أن تتم عملية تبادل حضاري غير مشفوعة بتبادل لغوي في الوقت ذاته ، ذلك لأن أية لغة متقدمة متطورة عاشت فترة من عمرها في حضارة زاهرة ، وعلم راق ، وفكر متقدم ، وأدب رفيع ، لا يمكن أن تكتفي بثروتها المحلية ، كما أنه لا يمكن أن تنجو اللغات الأخرى من تأثيرها (١) .

ولعل العامل الرئيس في دخول الكلام الأعجمي في اللغة العربية يرجع إلى : "ما أتيح للشعوب الناطقة بالعربية–من قبل الإسلام ومن بعده– من فرص للاحتكاك المادي والثقافي والسياسي بالشعوب الأخرى ، وما نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبيعي للحضارة العربية من ظهور مستحدثات لم يكن للعرب ؛ و لا للغتهم عهد بها من قبل في ميادين الاقتصاد ؛ والصناعة ؛ والزراعة ؛ والتجارة ؛ والعلوم ؛ والفلسفة ؛

(١) دراسات في الأدب واللغة : د/حسن أحمد الكبير : ص/١٣٢ – بتصرف يسير ، الطبعة الأولى – مطبعة الأمانة ، سنة ١٤٠٤هـ .

والآداب ؛ والدين ، ومختلف مناحي السياسة والاجتماع" (٢) .

فكان من الضروري نتيجة لهذا الاحتكاك : تبادل المصطلحات العلمية ، واقتراض مسميات الأشياء التي توجد في أمة ؛ ولا توجد في الأخرى منهما ؛ مما اضطر العربي–حتى يساير مركب الحضارة–أن يستخدم اللفظ الأجنبي ، بعد ما يطوعه للغته ؛ فيعربه ، وبذلك يصير اللفظ عربياً ، يضاف إلى لغته كما يضم إلى ألفاظه فيستعمله ؛ وهكذا دخلت كثير من المفردات الأجنبية في اللغة العربية (٣) ، على أنه لو استعرضنا ما ذكره المؤلفون ؛ وجمعه اللغويون من الألفاظ الدخيلة سواء قبل الإسلام أم بعده ، لوصلنا إلى النتائج الآتية :

١–إن عدد الألفاظ الأجنبية الدخيلة قليل جداً إذا نسب إلى عدد مفردات العربي أو إذا قيس بالألفاظ العربية التي دخلت اللغات الأخرى كالفارسية .

٢– إن هذه الألفاظ التي دخلت العربية تتعلق بالحسيات لا بالمعنويات ، والمصطلحات الإدارية ؛ وقليل منها من مصطلحات الفلسفة ؛ وما إليها .

وأما الألفاظ العربية التي دخلت في اللغات الأخرى ؛ فهي مما يتصل بالمعنويات كالمفاهيم الشرعية أو الخلقية والنفسية .

٣– إن ما دخل العربية من ألفاظ غربية ، لم يبق في أكثر الأحيان على حاله ، بل صيغ في قالب عربي ، فغيرت حروفه إذا كان فيه من الحروف ما ليس في العربية ، وبدل شكل تركيبه وبناؤه ، حتى يوافق الأبنية

(٢) فقه اللغة : د/علي عبد الواحد وافي : ص/١٩٩–٢٠٠ ، دار نهضة مصر .
(٣) فقه اللغة : د/إبراهيم محمد أبو سكين : ص/٤٢ – بتصرف – مطبعة الأمانة ؛ سنة ١٤٠٤هـ .

العربية ؛ أو يكون قريبا منها (٤) .

مفهوم التعريب :

هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها (٥).

ويعرفه المحدثون بأنه نقل الكلمة الأجنبية ومعناها إلى اللغة العربية ؛ كما هي دون تغيير فيها ؛ أو مع إجراء تغيير ؛ وتعديل عليها ؛ لينسجم نطقها مع النظامين الصوتي والصرفي للغة العربية لتنفق مع الذوق العام للسامعين ، ولتيسير الاشتقاق منها (٦) .

الداعي إلى التعريب :

١- الحاجة الملحة : حيث دخلت العربية من بعض الأسماء التي رأى العرب أنهم في حاجة ملحة إليها ، كأسماء الحيوانات والنباتات والملابس ، وأثاث البيوت ، وألفاظ الحضارة الجديدة ، وما يأتي به العلم من مخترعات حديثة ومكتشفات جديدة ..إلخ ، فالعرب لا يستطيعون أن يقفوا جامدين أمام هذا التطور العظيم من حولهم (٧) .

(٤) دراسات في الأدب واللغة : د/حسن أحمد الكبير : ص/١٣٦ ، وراجع ما بعدها من صفحات ؛ تجد مزيداً من الإيضاح .

(٥) المزهر : للسيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين : ١/٢٦٨، ط/٣ دار التراث .

(٦) من قضايا فقه العربية : د/محمد السيد بكر : ص/١٣٦ ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرياض سنة ١٤٠٧هـ ، نقلاً عن مقدمة في علم المصطلح : د/علي القاسمي : ص/١٣٠ [سلسلة الموسوعة الصغيرة ؛ رقم/١٦٩ ، الصادرة عن دار الشئون الثقافية والنشر ببغداد سنة ١٩٨٥م .

(٧) من قضايا فقه العربية : د/محمد السيد بكر : ص/١٤٠ ، وقارن بـ : من أسرار اللغة : د/إبراهيم أنيس : ص/١٠٩ ، ط/٣ ، الأنجلو ، سنة ١٩٦٦م .

٢- خفة اللفظ الأجنبي في النطق من نظيره العربي : وكانت الخفة في اللفظ الأعجمي سببا لتغلبه ؛ و مدعاة لنسيان اللفظ العربي ، و ذلك مثل : [المسك] بدلا من [المشموم] ، و [التوت] بدلا من [الفرصاد] ، و [الياسمين] بدلا من [السمسق و السجلاط] ، و [الخيار] بدلا من [القثد] (٨) .

٣- الرغبة في الافتخار وحب الظهور : فقد يتكلم الرجل بالكلمة الأجنبية ليظهر بأنه يجيد لغات أخرى غير لغته (٩) ، ولذا نلاحظ المرء ؛ وهو يتكلم بلغة أهله وبيئته قد يقحم في كلامه بعض الألفاظ الأجنبية ، في حين أنه في أثناء كلامه بلغة أجنبية لا يسمح لنفسه أبدا باقتباس شئ من ألفاظ لغته ؛ خشية أن يعد هذا مظهرا من مظاهر العجز ، أما في الحالة الأولى فيشعر المرء عادة أن اقتباس اللفظ الأجنبي ؛ وإقحامه في كلامه مظهر من مظاهر الكمال والافتخار (١٠) .

٤- إعجاب أمة بأخرى : فنقتبس منها بعض ألفاظ لغتها إحساسا منها بتفوقها على لغتها ، فقد اقتبس الأتراك والفرس ألفاظا كثيرة من العربية إعجابا بها وبأبنائها (١١) .

٥- من باب التلطف والتدليل : فمن مرونة العربي وصفاء قريحته

(٨) فقه اللغة : د/إبراهيم محمد أبو سكين : ص/٤٣ ، وقارن بـ : من قضايا فقه العربية : د/محمد السيد بكر : ص/١٤٠ ، ولمزيد من الأمثلة ، راجع : المزهر : للسيوطي ، فصل في "المعرب الذي له اسم في لغة العرب" : ١/٢٨٣ وما بعدها .

(٩) فقه اللغة : د/إبراهيم محمد أبو سكين : ص/٤٣ .

(١٠) من أسرار اللغة : د/إبراهيم أنيس : ص/١٠٣ .

(١١) من قضايا فقه العربية : د/محمد السيد بكر: ص/١٤١، وقارن بـ : فقه اللغة : د/إبراهيم أبو سكين : ص/٤٣ .

أنه كان يأخذ من غير العربية اللفظ وفي لغته البديل ؛ تظرفا وتلطفا ، كما فعل الرسول الكريم ﷺ ؛ فلقد كان يزور أبا هريرة ﷺ فيمرضه ؛ فقال له : "شكم درد" فارسية ، و بديلها في اللغة العربية : "هل وجع بطنك ؟"(١٢) .

طريقة التعريب :

لقد سلك العرب في تعريبهم للكلمات الأعجمية التي استعملوها طريقتين :

الطريقة الأولى : التغيير في أصوات الكلمة وصورتها بما يوافق ألسنتهم وأبنية كلامهم ؛ حفظا لألسنتهم من لكنة العجم ، فيتناولون اللفظ الأعجمي فيصقلونه ويهندمونه بحسب أوزان لغتهم ومنطق لسانهم ، فيخرج من لسانهم كأنه عربي صميم (١٣) .

وهذا التغيير قد أخذ عندهم صورا أشهرها :

١- تحريف في الأصوات :

كأن يكون بإبدال حرف من حرف ؛ مثل : جورب ، وأصلها في الفارسي : كورب ، وتعنى : لفافة الرجل ، أو يكون بزيادة حرف ، مثل : ديباج وأصلها الفارسي : ديبا أو يكون بنقصان حرف ، مثل : نشا ، وأصلها : نشاسته ، أو يكون بتحريك ساكن ؛ مثل : كازرون -اسم مدينة- ؛ وهي في الفارسية بسكون الزاي ، فينطقونها : كازرون .

أو يكون بإبدال حركة بحركة مثل : دستور ، وهي في الفارسية بفتح الدال ، غير أنها تعرب بضمها ، نظرا لأنه ليس في العرب كلمة على

(١٢) محاضرات في فقه العربية : د/عفتاني : ص/٦٧ عبد الله العزازي : ص/٢٩ .

(١٣) فقه اللغة : د/إبراهيم محمد أبو سكين : ٨٥٢٠ : ص/٤٣ .

وزن فعلول إلا نادرا (١٤) .

٢- تحريف الأوزان :

ويحدث هذا نتيجة للتحريف في الأصوات ، و ذلك أن زيادة حرف على أحرف الكلمة الأعجمية أو نقصان حرف منها ، أو إبدال حركة بحركة ؛ أو حرف من حرف ، أو تحريك ساكن ، كل ذلك يؤدي لا محالة إلى انحراف وزن الكلمة الأعجمية عن وضعه القديم ، وقد أدى هذا الانحراف بكثير من الكلمات الأعجمية أن أصبحت أوزانها على غرار الأوزان العربية ، وذلك مثل كلمات : درهم ؛ وبرج ؛ ودينار ؛ وديباج ؛ وجورب ، فقد أصبحت بفضل ما دخلها من التغيير ، على أوزان كلمات عربية ، مثل : هجرع [وهو الأحمق] ، وسهلب [الرجل الطويل] ، وديماس [وهو الحمام] ، وجمهور [وهو الفهرس الذي ليس بغليظ الصوت ولا أغنه] (١٥) .

وهذا القسم الذي وقع فيه التغيير يعرف عند علماء اللغة باسم "المعرب" فالمعرب-إذا- هو : اللفظ الأجنبي الذي استعملته العرب بعد تطويعه للغتهم سواء بالزيادة أو النقص أو القلب أو الإلحاق (١٦) .

الطريقة الثانية : وهي إدخال الكلمة الأجنبية بصورتها في العربية دون تغيير ، ويعرف هذا باسم "الدخيل" ، وذلك مثل : خراسان ،

(١٤) المرجع السابق : ص/٤٣-٤٥ ، وهامشها - بتصرف - ، راجع المزهر : للسيوطي : ٢٦٩/١ ، وفقه اللغة : د/علي عبد الواحد وافي : ص/٢٠٣ وما بعدها ، والمعرب : للجواليقي : ص/٥٤ وما بعدها ، ط/٢ ، دار الكتب ، سنة ١٣٨٩هـ .

(١٥) فقه اللغة : د/علي عبد الواحد وافي : ص/٢٠٤-٢٠٥ بتصرف .

(١٦) فقه اللغة : د/إبراهيم أبو سكين : ص/٤٥ بتصرف يسير .

وإبرسيم ، وتليفون ، غير أن هناك كثيرا من الكلمات الأجنبية قد تغير مدلوله في العربية عما كان عليه في لغته الأولى ، فبعضها استعمل في غير ما وضع له لعلاقة ما بين المعنيين، وبعضها انحط إلى درجة وضيعة في الاستعمال ، فأصبح من فحش الكلام وهجره مع أنه ما كان يستعمل في لغته الأصلية على هذا الوجه ، وبعضها سما إلى منزلة راقية ؛ فأصبح من نبيل القول ومصطفاه ، وبعضها قد عمم مدلوله الخاص ؛ فأصبح يطلق على أكثر مما يدل عليه ، وبعضها قد خصص معناه وقصر في العربية على بعض ما كان عليه من ذلك مثلا : الجون ، فإن معناه في الفارسية : اللون على العموم ، ولكنه قصر في العربية على الأبيض والأسود .

أطوار التعريب : لو نظرنا إلى الكلمات الأجنبية التي دخلت العربية لوجدنا أن لها أطوارا ثلاثة :

١- المعرب : وهو ما استعمله العرب الفصحاء من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها ، ويدخل في هذا الطور جميع الكلمات الأعجمية التي وردت في القرآن الكريم ؛ والأحاديث النبوية الشريفة ؛ وشعر العرب الفصحاء .

٢- المولد : وهو ما استعمله المولدون [وهم الذين ولدوا بعد عصور الاحتجاج] من ألفاظ أعجمية لم يعربها فصحاء العرب ؛ مثل ترجم الرسالة ، وبيض الكتابة .

٣-المحدث أو العامي : وهو ما عربه المحدثون في العصر الحديث وشاع في لغة الحياة العامة [والمحدثون هم الذين عاشوا بعد المولدين إلى أيامنا هذه] ، وتمييز المواد من المحدث صعب ؛ لعدم الاتفاق على سنة معينة ينتهي عندها عصر المولدين ، ويبدأ بها عصر المحدثين ، فضلا عن عدم معرفة الوقت الذي ظهرت فيه اللفظة المولدة أو المحدثة .

مقاييس العجمة :

لقد وضع علماء اللغة علامات عامة ، بها تعرف الكلمات

الأعجمية ، من هذه العلامات :

١- أن تكون الكلمة مخالفة للأوزان العربية ، مثل : إبرسيم ، يامين ، جبريل .

٢- أن تكون الكلمة فاؤها نونا ؛ وعينها راء ، مثل : نرجس ، نرد ، نورج .

٣- أن تنتهي الكلمة بدال يعقبها زاي ، مثل : مهندز ، الهنداز .

٤- أن يجتمع في الكلمة الصاد و الجيم ، مثل : الصولجان ، الجص ، الصنج .

٥- أن تشتمل الكلمة على الجيم والقاف ، مثل : المنجنيق ، الجوسق ، الجوقة .

٦- أن تكون الكلمة رباعية أو خماسية مجردة من حروف الذلاقة : [وهي الميم ، والراء ، والباء ، والنون ، والفاء ، واللام] ، مثل : جوسق ، عقجش ، حظائج .

٧- أن تجتمع في الكلمة الجيم والطاء ، مثل : الطاجن ، والطيجن

٨- أن ينقل عن أحد من أئمة العربية أن الكلمة المعنية أعجمية .

٩- أن تكون الكلمة مبنية من باء وسين وتاء ، فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل .

١٠- كثرة اللغات : نجد لكثير من المعربات أكثر من لغة ، فقالوا : فرند ؛ وبرند ، وقالوا : ميكائيل ؛ وميكال ؛ وميكائل ؛ وميكئل ، وقالوا : بغداد ؛ وفيه ثلاث عشرة لغة .

ويرجع هذا الاختلاف إلى أن كل من قام بالتعريب سلك مسلكا معينا في تغيير الحروف العربية التي تتكون منها الكلمة الأعجمية ، وكذلك اختلفت أساليبهم في إخضاعها للأبنية العربية ، فالذي قال فرند أبدل من الباء الأعجمية الفاء ، والذي قال برند أبدل منها الباء .

ولقد أشار بعض اللغويين إلى هذه الظاهرة-ظاهرة كثرة اللغات- فقال الجواليقي في ترجمة إسرائيل بعد أن ذكر إسرائين لغة فيه : وكذلك نجد العرب إذا وقع إليهم ما لم يكن من كلامهم تكلموا فيه بألفاظ مختلفة ، كما قالوا : بغداذ وبغداد وبغدان .

١١- فقدان الأصل في العربية : يقول الدكتور السبحان : المعرب دخيل في العربية ؛ فليس له أصل يشتق منه ، أما في لغته الأصلية فله أصل يشتق منه ؛ وكلمات أخرى اشتقت من الأصل نفسه .

فالأبيل بمعنى الراهب لا يمت بصلة إلى الإبل ، ولكن في لغته الأصلية ، وهي السريانية له أصل معروف ؛ فهو مشتق من [أبل] بمعنى : بكى وناح فالأبيل : الباكي الحزين ؛ وسمي الراهب بذلك ؛ لكثرة بكائه وله أخوات مشتقات من الأصل نفسه : فـ [أبلا] معناه البكاء ، و[أبيلوثا] بمعنى : الحزن والرهبانية ، و[متابلتوثا] بمعنى : الحزن .

موقفنا من التعريب : لا خلاف بين العلماء في جواز استعمال المعرب ، وهو ما استعمله فصحاء العرب من كلمات دخيلة ، وقد ورد كثير من الألفاظ المعربة في القرآن الكريم نفسه -كما سنرى فيما بعد- ؛ وفي أحاديث الرسول الكريم ﷺ ، وفي الشعر العربي .

أما ما استخدمه المولدون في مختلف العصور ، وما أدخله بعض الباحثين في العصر الحاضر أو يرى إدخاله في اللغة العربية من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعات أو المصطلحات العلمية والفنية ، فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله إلا عند الضرورة ؛ لأن اللغة العربية يمكن أن تخصص ألفاظا من مفرداتها للدلالة على مستحدثات العلوم والفنون ، ولن يرهقها هذا من أمرها عسرا ؛ حيث إن في بطون معجماتها مئات الألوف من الكلمات المهجورة والمستعملة ؟ مما يصلح أن يوضع لهذه المسميات الحديثة ، ولنا بهذا الصدد أسوة حسنة في ما فعله العرب أنفسهم في صدر

الإسلام والعصر العباسي ، وهذه هي إحدى الغايات الجليلة التي يعمل على تحقيقها (مجمع اللغة العربية) ولله در حافظ إبراهيم ؛ إذ يقول على لسان العربية :

وسعت كتاب الله لفظا و غاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى و تبلى محاسنه
وفيكم-وإن عز الدواء-أساتي؟!

هذا ، وقد ذكر الدكتور صبحي الصالح شروطا لابد من مراعاتها عند القيام بالنقل والتعريب ؛ وهي :

أ- ألا نلجأ إلى التعريب إلا عند الضرورة ؛ انسجاما مع القرار الحكيم الذي اتخذه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ونصه : "يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم" ، وقد علق الأمير الشهابي على قيد "الضرورة" بقوله : "أرى أن قيد [الضرورة] الذي وضعه المجمع للتعريب هو ضرورة ؛ أقول هذا ؛ لأنني عارف بسخافات بعض أساتيذ العلوم الحديثة ، الذين عربوا ألفاظا علمية أعجمية ، كان في استطاعتهم أن يجدوا لها ألفاظا عربية مقبولة بقليل من الجهد ، ومن المعرفة بأصول تلك الألفاظ الأعجمية وبمعانيها" .

ب- أما قبل تحقيق هذه الضرورة ، فالترجمة الدقيقة تقوم مقام التعريب ، إذا تحرى الناقل العليم بأسرار العربية اللفظ الأنسب لأداء مدلول اللفظ الأعجمي .

فنحن نترجم مثلا : Microscope بالمجهار ، و Densimetre بالمكثف ، و Floriculture بزراعة الأزهار ، وهكذا .

ج- الكف عن استعمال اللفظ المعرب إذا كان له اسم في لغة العرب ؛ إحياء للفصيح وقتلا للدخيل .

د- أن نحاول-كلما اضطررنا إلى التعريب-أن ننزل اللفظ المعرب على أوزان العربية ، حتى يكون عربيا أو بمنزلته .

ه- ولا مانع من النحت إذا اضطررنا إليه في تعريب المصطلحات العامية والفنية ، ولكن عند الضرورة القصوى .

فالطريقة المثلي-إذن-في نقل مدلولات المكتشفات الأجنبية ؛ والاختراعات العلمية ؛ والاصطلاحات في شتى المجالات ، وهي : ألا نلجأ إلى التعريب-وهو أشدها خطرا على لغتنا الخالدة-إلا بعد أن نكون قد بذلنا الجهد في كل وسيلة قبلها : فالترجمة أولا ، فإذا لم يوجد للفظ الأجنبي مقابل عربي ؛ فاشتقاق ثانيا ، فيشتق لفظ من كلمة عربية تؤدي معنى المسمي ، فإذا عجزنا فالمجاز ثالثا ؛ فيتجوز للفظ مجاز بعلاقة في المعنى بين المسمي ، والمجاز ، فإذا عجزنا نعرب اللفظ الأجنبي تعريبا مطابقا لقواعد اللغة ، ونصقله وفق أوزان لغتنا ؛ ومنطق لساننا ؛ حتى يشبه اللفظ العربي الفصيح ؛ و بذلك نترك اللغة العربية للخلف من بعدنا ؛ كما تركها لنا آباؤنا الأولون !

وإننا على يقين من أن نقلة العلوم الحديثة في هذه العصر إذا وضعوا ما ذكرناه من الشروط نصب أعينهم ؛ خدموا لغتهم أخلص خدمة ، وعبروا عن خصائصها أصدق تعبير ؛ فما هي باللغة الجامدة الميتة ، بل هي اللغة المرنة المطواع التي كتب الله لها النماء والبقاء والخلود .

* * *

صور و أوضاع :

اللجان لا تنقذ المضطهدين

واضح رشيد الحسني الندوي

نشرت الصحف صور الأجساد المحرقة والوجوه المشوهة والأشلاء التي خلفتها الغارات الوحشية الإسرائيلية في أرض فلسطين ، وقد كانت الصحف والمجلات في شبه القارة الهندية أيضاً نشرت قبل ذلك ؛ مثل هذه الصور المفزعة للأجساد ؛ وأعضاء الجسد التي كانت مشوهة أو كانت محروقة بكاملها ، لمنكوبي الأحداث الدامية في "غجرات" بالهند ، وهذه الصور التي نشرتها الصحف ، أو قنوات التلفزيون نقلت وقع هذه المأساة إلى كل إنسان يتابع وسائل الإعلام ، وهي تزيل النوم عن العيون لمن يلقي نظرة عابرة عليها ، و قد تشابهت هذه الصور كثيراً ، في منظر البؤس والشقاء والبربرية ؛ وفي غطرسة واستكبار العناصر التي ارتكبت هذه الجرائم ، وتبريرها لهذه الآثام ، وعدم مبالاتها للضجة العالمية التي ثارت في العالم ، سياسياً ؛ وإعلامياً .

لقد كانت ميزة هذه العمليات الوحشية التي لا يوجد لها نظير في التاريخ المعاصر أنها نالت تغطية إعلامية موسعة ، وأثارت الضمير الإنساني على هذه الجرائم ، محلياً وعالمياً، فقد احتجت منظمات إنسانية ، وأحزاب سياسية تنتمي إلى الأغلبية في الهند ، التي تدين بالهندوسية ، على هذه الممارسات الوحشية التي ارتكبتها منظمات معروفة تعلن يدها في هذه الجرائم ، ولا تخفى نواياها ؛ بل تقول إنها تجربة ، أو اختبار ، كما أعربت جهات متعددة لليهود عن استنكارها لسياسة حكومة شارون في إسرائيل ، وأدانت وكالات الأمم المتحدة لحقوق الإنسان .

ومرت مدة طويلة على المسرحين ، والعالم يحتج ولا يغير من الوضع شيئا ، لأن المنكوبين كانوا من عنصر لا قوة له ، ولا صولة ، و ليـــس لـه وزن سياسي في العالم ، رغم وجود حكومات تسيطر على أراض شاســعة ، و تملك ذخائر واسعة ، لكن لم تبد هذه الحكومات أي اضطراب أو قلـــق على المستوى السياسي ، سوى الحفلات ؛ والاجتماعـــات ، والمســيرات الشعبية المحدودة التي لا تؤثر على العالم الخـــارجي ، فذهبـــت صرخـات المنكوبين ، ونداءات الإسعاف على الهواء ، بدون أن تحدث أي اضطـــراب أو تلاطم في البحر .

لقد سالت الدماء في أرض فلسطين ، وبدلا من فرض ضغط علـــى إسرائيل واصلت إسرائيل تهديدها بتجريد إسرائيل عن العرب ، وطردهـــم إلى الدول المجاورة ، ولو أدى ذلك إلى حرب مع الدول العربية الكـــبرى ، لأن إسرائيل تعرف أن قوتها العسكرية تفوق القوة العسكرية للدول العربيـة بكاملها ، وأن دعم أمريكا لها مضمون في جميع الأحوال ؛ فـــلا تؤثـــر في موقفها تقارير اللجان الإنسانية ، ولو كثرت ، كذلك موقف كل من يملـك قوة تفوق قوة منافسه ، ومعارضه .

لقد أدانت هذه المآسي الإنسانية المنظمات العالمية المعنيـــة بحقـــوق الإنسان والجهات السياسية للدول الكبرى ، ورفعت صوتهـــا ضـــد هـــذه الممارسات الوحشية التي اتهمت فيها الجهات السياسة .

وقد نشرت مجلة "المجتمع" الكويتية ؛ تقريرا عن لجنـــة أمريكيـــة ؛ تقول الصحيفة : مذابح القوات الصهيونية الغاشمة في "جنـــين" فضحتـــها منظمة أمريكية ، على طريقة شهد شاهد من أهلها ، وإن كان ذلـــك يتـــم بطريقة ناعمة على عادة الأمريكيين إذا كان الأمر متعلقا بالشأن الصهيوني .

فقد أعلنت منظمة "هيومان رائتس ووتس" الأمريكية أن هناك أدلـة تبين أن قوات الجيش الصهيوني ربما تكون قد ارتكبت جرائم حرب في مخيم

"جنين" اللاجئين .

وجاء في التقرير : إن الانتهاكات التي وثقها فريق المنظمة خـــلال زيارة المخيم دامت أسبوعاً ، تعتبر خطيرة للغاية وفي بعض الأحوال تبـــدو كجرائم حرب .

وفي حالة مماثلة أبدت لجان حقوق الإنسان العالمية قلقها بالأوضـــاع في "غجرات" ، وكانت منها لجنة أمريكية ، وقد ردت على احتجاجها لجنـة حقوق الإنسان الهندية أن الهند تقدر على صيانـــة حقـــوق الأقليـــات ، و حذرت أن أمريكا هي في حاجة إلى لجنة لحقوق الإنسان ، وقد كانت هـــذه اللجنة قد انتقدت بشدة موقف الحكومة الهندية المركزية والإقليمية علـــى عدم اتخاذ إجراءات مؤثرة لردع هذه الاعتداءات لكن موقفها إزاء الادانـة الخارجية كان موقف الرفض ، واعتبرت الحكومة الهندية هذه الاحتجاجـات العالمية تدخلا في الشئون الداخلية ولم تغير سياستها ، بل ظلت تركز علـــى الإرهاب الإسلامي ، وخطره على البلاد ، وتفخم كل حادث ينســـب إلى العنصر الإسلامي ، وتعظم خطورته ؛ وتضخم حجمه ، وتصرف النظر عـن الحركات الإرهابية التي تفاخر بهذه الممارسات الوحشية ، وتهدد المســـلمين والأقليات بمثلها ، ويدل ذلك على أن دم المسلم أقل قيمة ، وجرائم غـــير المسلمين أقل شيئاً ، وإن كانت أكبر حجماً وضخامةً .

إن هناك لجاناً لحقوق الإنسان في كل بلد ، وفي العالم أيضاً منظمـــة العفو الدولية ، ومنظمات حقوق الإنسان ، وهناك منظمات حقـــوق غـــير الإنسان ، كالدواب ، والطيور ، وحتى السباع ، فقد أدى الاعتداء علـــى أسد في غابة إلى محاكمة للصيادين ، وإن الإســـاءة إلى دواب ، تـــؤدي إلى محاكمة ، وقد نشرت صحيفة "تائمس آف إنديا" خبراً طريفـــاً ، وهـــو أن وزير الصحة الهندي ؛ صرح أن الحظر على التجارب الطبية على الحيوانات قد عطل تقدم البحوث الطبية وذلك لأن جمعية الرفـــق بالحيوانـــات الـــتي ترأسها السيدة مانيكا غاندي قد فرضت الحظر على مثل هذه التجـــارب ،

ولذلك تفكر وزارة الصحة الهندية في رفع طلب إلى رئيس الوزراء لرفع هذا الخطر، فإجراء الاختبارات الطبية على الحيوانات ظلم ، و وحشية ولكن تعذيب وتنكيل السجناء ؛ وإحراق الناس إحياء ، وقتل الأطفال والنساء وقصف المناطق الآهلة بالسكان ، لا يحتاج إلى إذن .

فلا ضآلة في اللجان ، ولكن اللجنة إذا كانت لا تملك قوة للضغط على مطالبها ، لا تؤثر ، مهما طالت تقاريرها ، وتراكمت احتجاجاتها ، وقد قيل : إذا أردت أن تعطل الإجراء فألف لجنة ، فإن هذه اللجنة تعد التقرير في شهور ، ثم لك حرية تقبل تقريرها أو ترفض .

وقد ألفت لجان كثيرة في الهند إثر الاضطرابات الطائفية ، وكان أكبرها لجنة تحقيق الاضطرابات التي اندلعت في "بومبائ" إثر هدم المسجد البابري ، ولجنة تحقيق هدم المسجد البابري ، وقد مرت عشر سنوات ، ولا تزال الاحداث التي وقعت قبل عشر سنوات في موضع البحث ، كذلك قرارات المؤتمرات تتراكم ، ثم تدفن في الأرشيف ، وقد أصبحت مجازر إسرائيل ، والصرب ، والروس ، حديث التاريخ ، والذين ارتكبوا هذه المجازر ينالون كل إجلال وتكريم في العالم ، وسيحظون بهذا التكريم ما داموا في موقف قوة ، وتنفيذ وفرض إرادة .

وقد هدد بوتن إثر هجوم على احتفالات مايو بأنه سيعامل الذين ارتكبوا هذا الاعتداء معاملة النازيين ، فثارت حفيظته على موت بضعة أشخاص ، ولكن تدمير مدن كاملة ، وقتل ألوف من الأبرياء لم تشكل له مسألة تقلق باله .

وقد قال شاعر الإسلام العلامة إقبال ؛ وهو يصدر حكمه على مثل هذا الوضع :

إن عقاب جرم الضعف والاستكانة ؛ هو الموت المفاجئ

* * *

إلى رحمة الله تعالى :

الأستاذ عبد اللطيف الأعظمي الندوي

في ذمة الله تعالى

قلم التحرير (س.أ)

أفادات الأنباء بوفاة الأستاذ عبد اللطيف الأعظمي الندوي في اليوم ٩/من شهر مايو ٢٠٠٢م – الموافق ٢٥/من صفر ١٤٢٣هـ في منزله بالجامعة الملية الإسلامية في دلهي الجديدة ، حيث قضى حياته كلها مشغولا بوظائف محترمة ، وقد ظل في وظيفة السكرتير لشيخ الجامعة إلى مدة طويلة ... فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من أبناء ندوة العلماء القدامى وطيد الصلة بها ؛ فكان يزورها في المناسبات ، ويقضى وقتا في رحابها ، ويفرح بالتطور والاتساع العلمي الذي وفق إليه رجالها المسئولون .

كان معروفا بنشاطاته الأدبية التي استمرت إلى آخر حياته ، فله مؤلفات في هذا الموضوع ، وقد ألف كتابا حول حياة مولانا أبي الكلام آزاد ، وزير التعليم الأول في الهند المستقلة ، رد فيه على معارضيه ، وقد سمى الكتاب باسم : (معارضو أبي الكلام آزاد) كما أن له كتابا آخر حول حياة المؤلفين المشهورين باللغة الأردية ، وهو من خلال كتاباته كان يدعو إلى تطوير الأدب الأردي وانسجامه مع الزمان .

وقد كان يتميز بكتابة الوفيات في ضوء التحليل والواقع للشخصيات البارزة في مجلة "الجامعة" التي كان نائب المدير لها ، وكانت تصدر من الجامعة الملية كلسان حال لها ولا تزال .

توفي عن عمر يناهز ٨٥/عاما ، وخلف وراءه أسرة حافلة بالأهل والأولاد والأحفاد ، وكان ينتمي إلى قرية "بندي" بمديرية أعظم كره ؛ فكانت نسبة "الأعظمي" له إلى مديرية أعظم كره ، التي تعتبر من أخصب مدن الهند برجالها وعلمائها ؛ وكبار الأدباء والمؤلفين ؛ وبكثرة المدارس ؛ والجامعات الإسلامية ؛ والكليات العصرية ؛ والمراكز الدينية ، وفيها مجمع دار المصنفين

(إكاديمية شبلي) ؛ وكلية شبلي ، التي أنشأها العلامة شبلي النعماني ، أحد رجالات ندوة العلماء ؛ المعروف بخدماته العلمية الجليلة ؛ ومدرسته الأدبية في تاريخ الأدب الأردي في شبه القارة الهندية .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ؛ وغفر له زلاته ؛ وأسكنه فسيح جناته ؛ وألهم أهل وذويه الصبر والسلوان .

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتدارك هذه الخسارة العلمية والأدبية ، ويقيض من يملأ الفراغ الذي حدث بوفاته ، فإنه سميع مجيب قريب .

***

حرم فضيلة الشيخ محمد مرتضى النقوي
في ذمة الله تعالى

انتقلت إلى رحمة الله تعالى السيدة حرم فضيلة الشيخ السيد محمد مرتضى النقوي رحمه الله ، المدير الأسبق لمكتبة شبلي الكبرى ؛ التابعة لندوة العلماء ، في ٢٧/صفر ١٤٢٣هـ – الموافق ١١/من شهر مايو عام ٢٠٠٢م .

فقد كانت طريحة الفراش من أجل مرض الربو الذي أصيبت به منذ مدة ، وقد كان زوجها الفقيد الشيخ محمد مرتضى ، توفي فجاءة إثر مرض مفاجئ أغمي عليه فيه قبل مدة قليلة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الفقيدة من صوالح النساء تهتم بأداء الواجب الديني ، وتتناول أولادها بالتربية الصالحة ، كانت تنتمي إلى السادة الهاشميين ممن هاجروا إلى الهند واستوطنوها ، خلفت وراءها أسرة مؤلفة من البنين والبنات وكلهم متحلون بالتعليم الديني ، وقائمون بأداء الواجبات اللازمة من خلال التربية الإسلامية .

غفر الله لها ؛ ورفع مكانتها مع النبيين والصديقين ؛ وأنزلها في جنات النعيم ، وألهم الجميع الصبر والسلوان ، فإنه سميع مجيب الداعين .

يقول الله تعالى :

﴿ كل نفس ذائقة الموت * وإنما توفون أجوركم يوم القيامة * فمن زحزح عن النار * وأدخل الجنة فقد فاز * وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾

***

البعث الإسلامي
دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ (الهند)
ص. ب ٩٣
هاتف : ٧٨٨١٦٦-٧٨٧٢٥٠
رقم الفاكس : ٠٥٢٢-٧٨٧٣١٠

ALBAAS-EL-ISLAMI
DARUL ULOOM NADWATUL ULAMA
P. O. Box : No. 93, Lucknow (India)
Phones : 787250-788166
Fax : 0522-787310

رسالة أخوية مهمة

حفظه الله تعالى للإسلام

حضرة الأخ القارئ الكريم !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فنتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٦/عاماً بالاستمرار ، وهي الآن في عامها السابع والأربعين – والحمد لله – .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :

مكتب "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص. ب٩٣ – مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)